



تعلیم المتعلّم طريق التعلّم

تأليف

الإمام برهان الإسلام والزرنجی،

تليذ صاحب الهداية

عن بشرحه وضبط الفاظه

عبد العزيز صقر شاهين

أحد علماء ومدرسي الأزهر الشريف

الناشر

شدي كتيب خان

مقابل آرام باغ کراچی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَ بَنِي آدَمَ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِ، وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْعَرَبِ وَالنَّبِيِّ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ بِتَابِعِ الْمُلُومِ
وَالْحَكَمِ (وَبَدَأَ) فَلَمَّا رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنْ تُلَّابِ الْعِلْمِ فِي زَمَانِنَا يَجْعِدُونَ إِلَى
الْعِلْمِ وَلَا يَصِلُونَ، وَمِنْ مَنَافِعِهِ وَنَمَائِهِ يَحْمَرُونَ، لِمَا أَنَّهُمْ أَخْطَأُوا طَرِيقَهُ
وَتَرَكُوا شِرَاقَهُ، وَكُلٌّ مِنْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ ضَلَّ، فَلَا يَبَالُ الْمَقْصُودَ، قُلْ
أَوْ جَلَّ، أَرَدْتُ وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَبَيِّنَ لَكُمْ طَرِيقَ التَّعْلِيمِ، عَلَى مَا رَأَيْتُ
فِي الْكُتُبِ وَتَمَنَيْتُ مِنْ أَسَانِيدِ أَوَّلِي الْعِلْمِ وَالْحَكَمِ، رَجَاءَ الدُّعَاءِ لِي مِنَ
الرَّاغِبِينَ فِيهِ الْخُلَصِينَ، بِالْفَرِيزِ وَالْفَلَاحِ فِي يَوْمِ الدِّينِ، بَعْدَ مَا اسْتَعَرْتُ
أَقْلَامَ تَعَالَى فِيهِ، وَتَمَيَّنْتُ بِتَعْلِيمِ الْمُتَعَلِّمِ طَرِيقَ التَّعْلِيمِ وَجَعَلْتُهُ فُضُولًا:

(فصل) فِي مَاهِيَةِ الْعِلْمِ وَالنِّفَعِ وَفَضْلِهِ (فصل) فِي النَّبِيِّ فِي حَالِ التَّعْلِيمِ

(فصل) فِي اخْتِيَارِ الْعِلْمِ وَالْأَسَازِ وَالشَّرِيكِ وَالنَّبَاتِ

(فصل) فِي تَنْظِيمِ الْعِلْمِ وَأَمَلِهِ (فصل) فِي الْجَدِّ وَالْمُواظَبَةِ وَالْهَمَةِ

(فصل) فِي بَدَايَةِ السَّبْقِ وَتَرْتِيبِهِ وَقُدْرِهِ (فصل) فِي التَّوَكُّلِ

(فصل) فِي وَقْتِ التَّحْصِيلِ (فصل) فِي الشَّفَقَةِ وَالنَّصِيحَةِ

(فصل) فِي الْإِسْتِفْلَادَةِ (فصل) فِي الْوَرَعِ حَالِ التَّعْلِيمِ

(فصل) فِيمَا يُوْرَثُ الْخَفِظَ وَفِيمَا يُوْرَثُ النَّسْبَانَ (فصل) فِيمَا يَجْلِبُ

الرِّزْقُ وَمَا يَمْنَعُهُ، وَمَا يَزِيدُ فِي الْعَمْرِ وَمَا يَنْقُصُ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

— فصل فِي مَاهِيَةِ الْعِلْمِ وَالنِّفَعِ وَفَضْلِهِ —

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
وَمُسْلِمَةٍ،

اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَفْتَرَضُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ طَلَبُ كُلِّ عِلْمٍ وَإِنَّمَا يَفْتَرَضُ عَلَيْهِ طَلَبُ

عِلْمِ الْحَالِ (١)

فَإِنَّهُ يُقَالُ: أَفْضَلَ الْعِلْمِ عِلْمُ الْحَالِ، وَأَفْضَلَ الْعَمَلِ حِفْظُ الْحَالِ، وَيُقَرَّرُ عَلَى الْمُسْلِمِ طَلَبُ مَا يَقَعُ لَهُ فِي حَالِهِ، فِي أَيِّ حَالٍ كَانَ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الصَّلَاةِ يَفْتَرِضُ عَلَيْهِ عِلْمُ مَا يَقَعُ لَهُ فِي صَلَاتِهِ بِقَدَرِ مَا يُؤَدِّي بِهِ فِرْضُ الصَّلَاةِ وَيَجِبُ عَلَيْهِ بِقَدَرِ مَا يُؤَدِّي بِهِ الْوَجِبُ، لِأَنَّهُ مَا يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْفَرِيضِ

كالإيمان ومعرفة أحكام العبادات والمعاملات الضرورية وطرائق السعي إلى الرزق والعمل لاكتساب ما يحفظ الرق، فلاجل أن يكون مؤمنا يجب أن يعلم ما يصل به إلى الإيمان من علم أصول الدين، ولأجل أن يعرف ما فرض الله عليه من واجبات، يجب أن ينظر في علم الفقه ليعرف حدود ذلك ولأجل أن يتعرف سبل السعي إلى الرزق والحصول على الملتزم يجب أن يتعلم من علوم الحياة ما ينطبع قلبه.

فالغرض الذي يرمى إليه الدين الإسلامي هو الوصول بالإنسان إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

قال الله عز وجل: «وَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ كَثِيرًا مَعْلَمٌ فَلَنُحْيِيَنَّكُمْ نَفَسًا وَنَكْتُمِيَنَّكُمْ نَفَسًا وَنُصَوِّرَنَّكُمْ أَنْفُسًا وَنُخَوِّضَنَّكُمْ فِي الْيَمِّ» (سورة الجمعة: آية ١٠)

وجاء فيها رواه البيهقي من الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تعلّموا من أنسابكم ما تصلحون به أرحامكم ثم اتّبّعوا، وتعلّموا من العربية ما تزيّنون به كتاب الله ثم اتّبّعوا، وتعلّموا من التجويز ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم اتّبّعوا».

يَكُونُ قَرَضًا، وَمَا يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْوَجِبِ يَكُونُ وَاجِبًا. وَكَذَلِكَ فِي الصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ، إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، وَالْحُجُّ إِنْ وَجِبَ عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ فِي الْبَيْعِ إِنْ كَانَ يَتَّجِرُ

قِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ (١) رَحِمَهُ اللَّهُ: أَلَا تُصَنِّفُ كِتَابًا فِي الزُّهْدِ؟ قَالَ: صَنَّفْتُ كِتَابًا فِي الْبَيْعِ، يَعْنِي الزَّاهِدُ هُوَ مَنْ يَتَحَرَّزُ عَنِ الشُّبُهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ فِي التَّجَارَاتِ، وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْمَعْمَلَاتِ وَالْخُرُفِ. وَكُلُّ مَنْ اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ مِنْهَا يَفْتَرِضُ عَلَيْهِ عِلْمُ التَّحَرُّزِ عَنِ الْحَرَامِ فِيهِ. وَكَذَلِكَ يَفْتَرِضُ عَلَيْهِ عِلْمُ أَحْوَالِ الْقَلْبِ: مِنَ التَّوَكُّلِ، وَالْإِيَابَةِ، وَالْحَشْيَةِ، وَالرِّمَاءِ، فَإِنَّهُ وَاقِعٌ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.

وَشَرَفَ الْعِلْمُ لَا يَنْجُو عَلَى أَحَدٍ: إِذْ هُوَ الْمُخْتَصُّ بِالْإِنْسَانِيَّةِ لِأَنَّ جَمِيعَ الْخَيْصَلِ سِوَى الْعِلْمِ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْإِنْسَانُ وَسَائِرُ الْخَيْرِيَّاتِ كَالشَّجَاعَةِ وَالْجُرْأَةِ، وَالْقُوَّةِ، وَالْجُودِ، وَالشَّفَقَةِ وَغَيْرَهَا سِوَى الْعِلْمِ؛ وَبِهِ أَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلَ

(١) محمد بن الحسن: يعنه بأبي حنيفة صلة قرابة وهو من تلاميذ أبي يوسف

فَإِنَّ فِيهَا وَاحِدًا مُتَوَرِّعًا أَشَدَّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنَ أَلْفِ عَابِدٍ (١)
وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْأَخْلَاقِ تَحْوِ الْجُودِ وَالْبُخْلِ وَالْجَبْنِ وَالْجَرَاءَةِ وَالْكَبَرِ
وَالْتَوَاضِعِ وَالْعِفَّةِ وَالْإِسْرَافِ وَالتَّقْيِيرِ وَغَيْرِهَا، فَإِنَّ الْكِبَرَ وَالْبُخْلَ وَالْجَبْنَ
وَالْإِسْرَافَ حَرَامٌ؛ وَلَا يُمْكِنُ التَّحَرُّزُ عَنْهَا إِلَّا بِضَادِّهَا، وَعِلْمٌ مَا بَضَادُهَا،
فَيَقْتَرِضُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ عَلَيْهَا. وَقَدْ صَنَّفَ السَّيِّدُ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ الشَّهِيدُ
نَاصِرُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ كِتَابًا فِي الْأَخْلَاقِ، وَنَهَمَ مَا صَنَّفَ، فَيَجِبُ عَلَى
كُلِّ مُسْلِمٍ حِفْظُهَا

وَأَمَّا حِفْظُ مَا بَقِيَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ قَرَّرَ عَلَى سَبِيلِ الْكِفَايَةِ، إِذَا
قَامَ بِهِ الْبَعْضُ فِي الْبَلَدَةِ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِيَيْنِ فَإِنَّ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَلَدَةِ مَن يَقُومُ

(١) ليس المراد بالآلف تحديد العدد، بل بيان الكثرة. وإنما كان التقية
المشروع الواحد أشدَّ على الشيطان من كثير من العابدين غير التقية، لأن التقية
على بيعة من الحلال والحرام فلا يستطيع الشيطان أن يضلَّه، أما العابد غير التقية
فهو يبعد الله على غير بصيرة، فمن المكين على الشيطان أن يورطه في الضلال دون
أن يشعر، ومن السهل أن يورطه في حائل متشبكه من الحب والفكر.

أَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ؛ وَأَمَرَهُمُ بِالسُّجُودِ لَهُ (١) وَإِنَّمَا شَرَفُ
الْعِلْمِ لِكُونِهِ وَسِيلَةً إِلَى التَّقْوَى الَّتِي يَسْتَحِقُّ بِهَا الْمَرَّةَ الْكَرَامَةَ عِنْدَ اللَّهِ
تَعَالَى وَالسَّادَةَ الْأَبَدِيَّةَ؛ كَمَا قِيلَ لِمُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ:
تَعْلَمُ فَإِنَّ الْعِلْمَ زِينٌ لِأَمَلِهِ وَفَضْلٌ وَعِزٌّ لِكُلِّ الْحَامِدِ (٢)
وَكُنْ مُتَعِدًّا كُلَّ يَوْمٍ زِيَادَةً مِنَ الْعِلْمِ وَأَسْبَحْ فِي بُحُورِ الْفَوَائِدِ (٣)
تَفَقَّهَ فَإِنَّ الْفَقْهَ أَفْضَلُ قَائِدٌ إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَأَعْدَلُ قَاصِدٌ (٤)
هُوَ الْعِلْمُ الْهَادِي إِلَى سَنَنِ الْهُدَى هُوَ الْحِصْنُ يَنْجِي مِنْ جَمِيعِ الشَّدَائِدِ (٥)

- (١) حيث قال عز وجل: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» سورة البقرة آية (٣١)
وَأَمَرَهُمُ بِالسُّجُودِ لَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» سورة البقرة آية (٣٤). والسجود معناه الخضوع
(٢) الحامد جمع محمداً بفتح الميمين مصدر ميمي بمعنى المحمودة: بمعنى أن العلم
دليل على أن صاحبه ذو فضل عظيم وأخلاق كريمة وعمل عموماً محمود
(٢) أي في الفوائد التي كالبحر كثره وعظما وفيه إشارة إلى قوله تَعَالَى:
«وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا» سورة طه، آية (١١٤)
(٤) قاصد: عادل (٥) السن بفتح السين: الطريق

يَهْ أَشْتَرُكُمْ أَجِبَا فِي الثَّانِي (١) قَبِيبَ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَأْمُرَ بِذَلِكَ وَيَجِبَ
أَهْلُ الْبَلَدَةِ عَلَيْهِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنْ عِلْمُ مَا يَقَعُ عَلَى نَفْسِهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ
هُوَ بِمِزَلَةٍ الْعِلْمِ لَا يَدُلُّ لِكُلِّ وَاحِدٍ (٢) مِنْهُ، وَعِلْمُ مَا يَقَعُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ
بِمِزَلَةِ الدَّوَاءِ يُنْتَاجُ إِلَيْهِ حِينَ الْمَرَضِ قَطْعًا. وَعِلْمُ النُّجُومِ (٣) بِمِزَلَةٍ

(١) الثَّانِي: الْإِمَامُ وَالْمُعَصِي. وَإِنَّمَا اعتبرا لِمَجْمُوعِ مُفْتَكَرِينَ فِي الْإِمَامِ وَالْمُعَصِي
بَرَكٌ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْفَرْدُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ لِأَنَّهُ مَصْلَحَةٌ طَائِفَةٌ، فَإِذَا انْقَطَعَتْ
حَاجَةُ الْفَرْدِ إِلَيْهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، لِحَاجَةِ الْمَجْمُوعِ إِلَيْهَا دَائِمَةٌ لَا تَنْقَطِعُ.

(٢) يَتَلَخَّصُ مَعْنَى هَذِهِ الْبَابَةِ فِي أَنَّ مِنَ الْعُلُومِ مَا هُوَ ضَرُورِي لِلرَّءِ
لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَوْدِيَ وَاجِبَاتِهِ الدِّينِيَّةَ وَالْدُنْيَوِيَّةَ إِلَّا بِهِ، كَمَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْشُرَ
بِدُونَ طَعَامٍ يَقِيمُ بِهِ أَوْدَهُ وَيَسُدُّ رَمَقَهُ. فَتَعَلَّمَ مِثْلَ هَذِهِ الْعُلُومِ وَاجِبٌ شَرْعًا عَلَى
كُلِّ فَرْدٍ بَيْنَهُ، وَمِنْهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، كَمَا يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَى
الدَّوَاءِ حِينَ الْمَرَضِ، فَتَعَلَّمَ مِثْلَ هَذِهِ الْعُلُومِ لَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ بَيْنَهُ، وَلَكِنْ
يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ جَمَاعَةٍ عِدَدٌ مِنَ الْعَارِفِينَ بِهَا يَكْفِي لِسُدِّ حَاجَةِ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ
إِلَيْهَا، فَشَلَا لَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ أَنْ يَكُونَ طَبِيبًا، وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ
جَمَاعَةٍ عِدَدٌ مِنَ الْأَطْيَابِ يَكْفِي لِمُجَالِحَةِ مَنْ يَرْضَى مِنْهُمْ.

(٣) يُظْهِرُ أَنَّ الْمُؤَلَّفَ لَا يَتَقَيَّدُ بِعِلْمِ النُّجُومِ عِلْمَ الْفَلَكَ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: «وَالْمَرْبُ
مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ غَيْرُ مُمَكِّنٍ...» فَإِنَّ عِلْمَ الْفَلَكَ لَا يَبْعَثُ فِي رَسَائِلِ الْمَرْبِ مِنْ قَضَاءِ
اللَّهِ، وَإِنَّمَا هُوَ عِلْمٌ يَبْعَثُ فِي عَالَمِ الْكَوَاكِبِ وَالْأَفلاكِ، وَنِظَامِ سَيْرِهَا، وَقِرَاعَةِ

الْمَرَضِ قَضَاءُ اللَّهِ حَرَامٌ لِأَنَّهُ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَالْمَرْبُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى
وَقَضَاؤُهُ غَيْرُ مُمَكِّنٍ، فَيُضَيِّقُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَسْتَقْبَلَ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ بِذِكْرِ اللَّهِ
تَعَالَى وَالِدُعَاءِ وَالْتَضَرُّعِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالصَّدَقَاتِ الدَّافِعَةِ لِلْبَلَاءِ، وَيَسْأَلُ
اللَّهُ تَعَالَى الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِيُصَوِّنَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْبَلَاءِ
وَالْآفَاتِ، فَإِنَّ مَنْ رَزَقَ الدُّعَاءَ، لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةَ، فَإِنْ كَانَ الْبَلَاءُ مُقَدَّرًا
يُصِيبُ لِأَعْلَانَةٍ، لَكِنْ يُبَسِّرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيَرْزُقُهُ الصَّبْرَ بِرِكَاتِ الدُّعَاءِ
اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا تَعَلَّمَ مِنَ النُّجُومِ قَدْرَ مَا يَعْرِفُ بِهِ الْقِبْلَةَ وَأَوْقَاتَ الصَّلَاةِ
فَيَجُوزُ ذَلِكَ

الْجَانِزِيَّةَ بَيْنَهَا، وَأَوْقَاتَ شُرُوفِهَا وَغُرُوبِهَا... وَغَيْرَ ذَلِكَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَشَدُّ الْإِحْتِيَاجِ
فِي كَثِيرٍ مِنَ الشُّعُونِ الدِّينِيَّةِ وَالْدُنْيَوِيَّةِ، وَمَنْ يَطَّلِعُ عَلَى أَجْمَلِ التَّلَكِّيَنِ الدَّقِيقَةِ
لَا يَسْمَعُ إِلَّا أَنَّ غَيْرَ سَاجِدًا خَالِقِ هَذَا الْعَالَمِ الَّذِي يَبْهَرُ الْعُقُولَ وَيُدْمَشُّ الْأَلْبَابَ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِأُولِي الْأَلْبَابِ»، سُورَةُ آلِ هُرَيْرَانَ، آيَةُ (١٩٠)

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَعَلَّمُوا مِنْ أَسَانِكُمْ مَا تَعَلَّمُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ ثُمَّ اتَّبِعُوا
وَتَعَلَّمُوا مِنَ الرِّبَا مَا تَعَرَّبُونَ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ ثُمَّ انْهَرُوا، وَتَعَلَّمُوا مِنَ النُّجُومِ مَا تَهْتَدُونَ
بِهِ فِي ظِلَالِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ثُمَّ اتَّبِعُوا).

وَأَمَّا تَعْلَمُ عِلْمَ الطَّبِّ فَيَجُوزُ لِأَنَّهُ سَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ، فَيَجُوزُ تَعْلَمُهُ
كَسَائِرِ الْأَسْبَابِ، وَقَدْ نَدَّوْا النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَقَدْ حَكِيَ
عَنِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: الْعِلْمُ عِلَانٌ، عِلْمُ الْفَقْهِ لِلْأَدْبَانِ
وَعِلْمُ الطَّبِّ لِلْأَدْبَانِ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ بَلْفَةٌ عَجَلَسَ (١)

وَأَمَّا تَغْيِيرُ الْعِلْمِ فَهُوَ صِفَةٌ يَجْعَلِي بِهَا لِمَنْ قَامَتْ فِيهِ الْمَذْكُورُ (٢)
كَأَنَّهُ هُوَ. وَالْفَقْهُ: مَعْرِفَةُ دَقَائِقِ الْعِلْمِ مَعَ تَوْحِيدِ (٣) عِلَاجِهِ. قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ
رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: الْفَقْهُ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ مَالِهَا وَمَا عَلَيْهَا. وَقَالَ: مَا الْعِلْمُ إِلَّا الْعَمَلُ بِهِ
وَالْعَمَلُ بِهِ تَرْكُ الْعَاجِلِ لِلْآجِلِ. فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَلَّا يَنْفَلَّ عَنْ نَفْسِهِ

(١) بلغة مجلس: كفاية مجلس، أى يكتبى للحدث به فى المجلس

ولو صح أن الإمام الشافعى رضى الله عنه قال هذا فليس يقصد منه أن غير
هذين الدينين لا قاعدة منه سوى التحدث به فى المجالس، وإنما يقصد أنه يجب
وجوباً عالياً على كل فرد أن يعرف من الفقه ما يستقيم به دينه ونصح عباده
ومن علم الطب ما يحفظ به صحته ويوقى أسباب الأمراض وهو ما يسمى بعلم تدبير
الصحة، وما عدا هذين الدينين فهو واجب وجوباً كفافياً

(٢) المذكور: أى ما يتعلق به العلم: كما هو: أى على حقيقة

(٣) هذا تعريف لفقه بالمعنى الأخرى العام الذى يشمل كل العلوم

وَمَا يَقْضِيهَا وَمَا يَضُرُّهَا فِي أَوَّلَاهَا وَآخِرَاهَا، فَيَسْتَجْلِبُ مَا يَنْفَعُهَا وَيَعْتَنِبُ
مَا يَضُرُّهَا كَيْلَا يَكُونَ عَقْلُهُ وَعَلَيْهِ حُجَّةٌ فَيَزَادُ عَقُوبَةً، تَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ مَخْطِئِهِ وَعِقَابِهِ

وَقَدْ وَرَدَ فِي مَنَاقِبِ الْعِلْمِ وَفَضَائِلِهِ آيَاتُ وَأَخْبَارٌ مَحِيحَةٌ مَشْهُورَةٌ لَمْ نَسْتَغْلِ
يَذْكُرُهَا كَيْلَا يَطُولَ الْكِتَابُ (١)

(فصل فى النية حال التعلم)

ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ النِّيَّةِ فِي زَمَانِ تَعْلُمِ الْعِلْمِ، لِإِذِ النِّيَّةُ هِيَ الْأَصْلُ فِي جَمِيعِ
الْأَحْوَالِ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» حَدِيثٌ

(١) قال تعالى: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٢١ إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَ الْأَبْلِيَاءِ» سورة (الزمر) آية (٩)

وقال عز وجل: «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»
سورة المجادلة آية (١١)

وقال عز وجل: «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ» ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً
كثيراً وما يذكر إلا أولوا الأبواب» سورة البقرة آية (٢٦٩) وجاء فى البخارى
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين» خير الدنيا
والآخرة مع العلم، وشر الدنيا والآخرة مع الجهل،

صَحِيحٌ، وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمَنْ عَمِلَ يَتَوَوَّرُ بِصُورَةِ
أَعْمَالِ الدُّنْيَا وَيَصِيرُ بِحَسَنِ النَّبِيِّ مِنْ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ، وَكَمَنْ عَمِلَ يَتَوَوَّرُ
بِصُورَةِ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ، ثُمَّ يَصِيرُ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا بِسُوءِ النَّبِيِّ، وَيَبْقَى أَنْ
يَتَوَّى الْمُتَعَلِّمُ بِطَلَبِ الْعِلْمِ رِضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى وَالنَّارُ الْآخِرَةُ وَإِزَالَةُ الْجَهْلِ عَنْ
نَفْسِهِ وَعَنْ سَائِرِ الْجُهَالِ وَإِحْيَاءُ الدِّينِ وَإِعْجَازُ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ بَقِيَ الْإِسْلَامُ
بِالْعِلْمِ وَلَا يَصِحُّ الزُّهْدُ وَالتَّقْوَى مَعَ الْجَهْلِ، أَفْشَدُنِي الْأُسْتُاذُ الشَّيْخُ الْإِمَامُ
الْأَجْلُ بُرْهَانُ الدِّينِ صَاحِبُ الْمُنَادِيَةِ بَعْضُهُمْ:

فَسَادَ كَبِيرُ عَالَمٍ مِثْلُكَ وَأَكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مِثْلُكَ
هُمَا فَتَةٌ فِي الْعَالَمَيْنِ عَظِيمَةٌ لِمَنْ يَهْمَا فِي دِينِهِ يَمْسُكُ

وَيَتَوَّى بِهِ الشُّكْرَ عَلَى نَسَمَةِ الْعَقْلِ، وَحُجَّةِ الْبَدَنِ وَلَا يَتَوَّى بِهِ إِقْبَالَ
النَّاسِ إِلَيْهِ، وَلَا اسْتِجْلَابَ حُطَامِ الدُّنْيَا، وَالْكَرَامَةَ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عِبِيدَ لِأَعْقَمَتِهِمْ وَتَبَرَّأَتْ
عَنْ وَلَاتِهِمْ. وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ وَجَدَ لَذَّةَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ قَلْبًا يَرْغَبُ فِيهَا

عِنْدَ النَّاسِ

أَفْشَدُنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجْلُ الْأُسْتُاذُ قَوَامُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ الصَّفَّارِ الْأَنْصَارِيِّ إِفْلَاحًا لِأَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى شِعْرًا:

مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلْعِبَادِ قَدْ بَقِيَ نَسْلُ مِنَ الرِّشَادِ

فِي الْخِصَرَاتِ طَالِيهِ لَيْلٍ فَضْلٍ مِنَ الْعِبَادِ

الْهَمُّ إِلَّا إِذَا طَلَبَ الْجَاهُ لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّهَيُّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنْفِذُ
الْحَقِّ وَإِعْزَازُ الدِّينِ، لَا لِنَفْسِهِ وَهَوَاهُ، فَيَجُوزُ ذَلِكَ بِقَدْرِ مَا يُقِيمُ بِهِ الْأَمْرَ

بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّهَيُّ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَبَيَّنِّي لَطَالِبُ الْعِلْمِ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ

يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ بِجُهْدٍ كَثِيرٍ فَلَا يَصْرِفُهُ إِلَى الدُّنْيَا الْخَفِيرَةِ الْقَلِيلَةِ الْفَانِيَةِ

هِيَ الدُّنْيَا أَقْلُ مِنَ الْقَالِيلِ وَعَاشِقُهَا أَذْلُ مِنَ الدَّالِيلِ

تُصِيبُ بِسِحْرِهَا قَوْمًا وَلَتُعَيِّ فِهِمْ مُنْهَرُونَ بِلَا دَلِيلِ

وَيَبْقَى لِأَهْلِ الْعِلْمِ الْأَبْدَلُ غَسْبًا بِالطَّمْعِ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ، وَتَحَرُّزًا عَمَّا فِيهِ مَذَلَّةٌ

الدِّمِ وَأَهْلِهِ، وَيَكُونُ مُتَوَاضِعًا، وَالتَّوَاضُعُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْمَذَلَّةِ وَالْعِفَّةِ،

وَيَعْرِفُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْأَخْلَاقِ

أَشَدُّ الشَّيْخِ الْإِمَامُ الْأَجَلُ الْأَسَدُ رُكْنُ الْإِسْلَامِ الْمَعْرُوفُ بِالْأَدِيبِ
اخْتَارَ رَحِمَهُ اللَّهُ شِعْرًا لِنَفْسِهِ :

إِنَّ التَّوَّاضِعَ مِنْ خِصَالِ الْمُتَّقِي وَيَهْ تَقِي إِلَى الْمَعَالِي يَرْتَقِي
وَمِنَ الْمَجَانِبِ عَجَبٌ مَنْ هُوَ جَاهِلٌ فِي حَالِهِ أَمْرٌ السَّعِيدُ أَمْ الشَّقِي
أَمْ كَيْفَ يَفْتَحُمُ عَمْرَهُ أَوْ رُوحَهُ يَوْمَ النَّوَى مُسْفِلٌ أَوْ مُرْتَقِي
وَالْكِبْرِيَاءَ رَبَّنَا صِفَةٌ غَضُوصَةٌ فَجَنَّبْنَاهَا وَاتَّقِي

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا تَحْبِيهِ : عَظُمُوا عَمَّا حَكَمَكُمْ ، وَوَسَّعُوا أَلْكَامَكُمْ (١)
وَأَمَّا قَالَ ذَلِكَ لِئَلَّا يَسْتَخَفَّ بِالْعِلْمِ وَأَهْلِهِ . وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْصَلَ
عَلَى كِتَابِ الْوَصِيَّةِ الَّتِي كَتَبَهَا أَبُو حَنِيفَةَ لِيُونُسَ بْنِ خَالِدِ السَّمْعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ
عَلَيْهِ عِنْدَ الرَّجُوعِ إِلَى أَهْلِهِ : يَجِدُ مَنْ يَطْلُبُهُ . وَقَدْ كَانَ أَسَازَنًا شَيْخَ الْإِسْلَامِ

(١) المقصود من هذا أنه ينبغي للتعلم أن يظهر بالمظهر الذي يكسبه الإجلال
والاحترام فطالما العلم وإكبارا لأنفسه .

بُرْهَانُ الْأَئِمَّةِ عَلَى بَنِي بَكْرِ قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ الْقَزِيرُ أَمْرِي بِكِتَابَتِهِ عِنْدَ
الرَّجُوعِ إِلَى بَلَدِي وَكُتِبَتْ ، وَلَا بَدَّ لِلْمُدْرِسِ وَالْمُفْتِي فِي مَعَامَلَاتِ النَّاسِ مِنْهُ

(فصل في اختيار العلم والأستاذ والشريك والوثاق)

يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَخْتَارَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ (١) وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ
دِينِهِ فِي الْحَالِ . ثُمَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْمَالِ ، فَيُقَدِّمُ عِلْمَ التَّوْحِيدِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَيَعْرِفُ
اللَّهُ تَعَالَى بِالذَّلِيلِ ، فَإِنْ لِمَعْنَى الْمُقْلِدِ إِنْ كَانَ هَجِيحًا عِدَةً لَكِنْ يَكُونُ أَمَّا
بِرَّكَ الْأَسْتَدْلَالِ (٢) وَيَخْتَارُ الْعَتِيقَ (٣) دُونَ الْمُتَحَدِّثَاتِ قَالُوا : عَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ

(١) أحسن كل علم ما كان من جرمه وصريحه ، وخلص من المناقشات
والخلاطات . قال الشاعر :

ما حوى العلم جيباً أحد لا ، ولو مارسه ألف سنة

إنما العلم بيد غوره غفوا من كل علم أحسنه

(٢) أي معرفة الدليل . وأفضل الأداة في ذلك ما كان فطرياً بسيطاً كذلك
الدليل الناصع الذي قاله الأعرابي في لهجة قوية صريحة : البرة تدل على البهر .
والأثر يدل على المسير ، فأرض ذات لحاج ، وسما ذات أبراج ، أفلا تدل
على العلى القديم ؟

(٣) يريد بالعتيق ماتم الاتفاق عليه بعد أن قام البرهان الناطع على صحته ، ويريد
بالحديث ما يزال الخلاف فيه عندما ولم تنفك أدلة الآراء المتصادمة فيه ينقض

وَلَا يَأْكُمُ وَالْمُحَدَّثَاتِ، وَلِيَاكَ أَنْ تَشْتَغَلَ بِهَذَا الْجَدَلِ الَّذِي ظَهَرَ بَعْدَ انْقِرَاضِ
الْأَكْبَرِ مِنَ الْمَلَأَةِ فَإِنَّهُ يُعِيدُ الْعَالِبَ عَنِ الْفَقْهِ، وَيُضِيعُ الثَّمَرُ، وَيُورِثُ
الرَّوْحَةَ وَالْمَدَاوَةَ وَهُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ (١) وَارْتِضَاعِ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ
كَذَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ (٢) وَأَمَّا اخْتِيارُ الْأَسْتَاذِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْأَعْلَمُ
وَالْأَدْوَعُ وَالْأَسْنُّ، كَمَا اخْتَارَ أَبُو حَنِيفَةَ حَمَادُ بْنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَدِّ
النَّمْلِ وَالتَّفَكُّرِ وَقَالَ: وَجَدْتُهُ شَخَافًا قَوْرًا حَلِيمًا صَبُورًا. وَقَالَ: ثَبَتَ عِنْدَ
حَمَادِ بْنِ سُلَيْمَانَ قِيَمَتُهُ. قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَمِعْتُ حَكِيمًا مِنْ حُكَّامٍ مَمْرُقَةً يَقُولُ
إِنْ وَاحِدًا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ شَاوَرَنِي فِي مَطْلَبِ الْعِلْمِ، وَكَانَ عَازِمًا عَلَى الذَّهَابِ
إِلَى بَحَارَى لَطْلَبِ الْعِلْمِ - وَمَكَّنَّا يَنْبَغِي أَنْ يُشَاوَرَ فِي كُلِّ أَمْرٍ، فَإِنَّ اللَّهَ

بهذه بعضا، وذلك لأنه لا ينبغي للعلم أن يعتقد شيئا قبل أن يقوم البرهان على صحته

(١) أشرط جمع شرط يفتح الشين والراء العلامة. أي علامات يوم القيامة

(٢) يشير إلى ما رواه الديلمي عن ابن مسعود أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ: «تَلَبَّسُوا بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ، فَإِنْ أَحَدُكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يَمُوتُ فَيَخْشَى أَنْ يَمُوتَ إِلَى مَعَادِهِ
وَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، وَلِيَاكُمْ رَتْنُ الطَّعْمِ وَالتَّبَدُّعِ وَالتَّمَتُّقِ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ»

تَمَّالَى أَمْرَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُشَاوَرَةِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ، وَلَمْ يَكُنْ
أَحَدٌ أَقْنَعَ مِنْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ أَمَرَ بِالْمُشَاوَرَةِ وَكَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ فِي جَمِيعِ
الْأُمُورِ حَتَّى حَوَاجِ الْبَيْتِ قَالَ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: مَا هَكَذَا أَمْرُكَ عَنْ
مَشُورَةٍ وَقِيلَ: النَّاسُ رَجُلٌ رَيْصُفٌ رَجُلٌ وَلَا شَيْءَ، فَارْجُلُ مَنْ لَهُ رَأْيٌ
صَائِبٌ وَبُشَاوِرُ، وَيَصِفُ الرَّجُلُ مَنْ لَهُ رَأْيٌ صَائِبٌ، وَلَكِنْ لَا يُشَاوِرُ
أَوْ يُشَاوِرُ وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لَهُ، وَلَا شَيْءَ مَنْ لَا رَأْيَ لَهُ وَلَا يُشَاوِرُ. قَالَ
جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: شَاوَرَ فِي أَمْرِكَ الَّذِي
يَخْشَوْنَ اللَّهَ تَمَّالَى - وَطَلَبُ الْعِلْمِ مِنْ أَعْلَى الْأُمُورِ وَأَصْغَايَا فَكَانَتْ الْمُشَاوَرَةُ

فِيهِ أَمْرًا وَأَوْجَبَ (١) - قَالَ الْحَكِيمُ: إِذَا ذَهَبْتَ إِلَى بَحَارَى لَا تَعْجَلْ فِي

الِاخْتِلَافِ (٢) إِلَى الْأَمْنَةِ وَأَمْسَكَ شَهْرَيْنِ حَتَّى تَتَأَمَّلَ وَتَخْتَارَ أَسْتَاذًا،

(١) ما بين التمرتين ليس من كلام الحكم بل من كلام المؤلف ساقه هنا
ليان أهمية المشورة

(٢) الاختلاف إلى الآفة هو التردد على مجالسهم لاخذ العلم عنهم .

(٢ - تلميح)

فقد

٣

فَإِنَّكَ إِذَا ذَهَبْتَ إِلَى عَالِمٍ وَبَدَأْتَ بِالسَّبْقِ (١) عِنْدَهُ رُبَّمَا لَا يَعْجِبُكَ دَرَسُهُ
فَتَرْكُهُ وَتَذْهَبُ إِلَى آخَرَ فَلَا يَأْرَكَ لَكَ فِي التَّعَلُّمِ ، فَتَأْمَلُ شَهْرَيْنِ فِي اخْتِيَارِ
الْأُسْتَاذِ وَتَأْوِرُ حَتَّى لَا تَحْتَاجَ إِلَى تَرْكِهِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ فَتُبْتَ عِنْدَهُ حَتَّى
يَكُونَ قَعْلُكَ مُبَارَكًا وَتَنْفَعُ بِدَلِّكَ كَثِيرًا . وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّبْرَ وَالثَبَاتَ
أَصْلُ كَيْفٍ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَلَكِنَّهُ عَزِيزٌ كَمَا قِيلَ :

لِكُلِّ إِلَى شَأْنٍ أَمَلًا حَرَكَاتٌ وَلَكِنْ عَزِيزٌ فِي الرِّجَالِ ثَبَاتٌ
قِيلَ : الشَّجَاعَةُ ، صَبْرٌ سَاعَةٌ ، فَيَبْنِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَثْبُتَ وَبَصِيرَةٌ عَلَى
أُسْتَاذٍ وَعَلَى كِتَابٍ حَتَّى لَا يَتْرُكَ أَتَمَّ (٢) وَعَلَى فَنٍّ حَتَّى لَا يَشْتَنِلَ بِفَنٍّ آخَرَ
قَبْلَ أَنْ يَفْنِيَ الْأَوَّلَ ، وَعَلَى بَلَدٍ حَتَّى لَا يَنْتَقِلَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ
فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يَفْرُقُ الْأُمُورَ وَيَشْغُلُ الْقُلُوبَ ، وَيَضِيعُ الْأَوْقَاتَ ، وَيُؤْذِي
الْمُعَلِّمَ . وَيَبْنِي أَنْ يَصْبِرَ عَمَّا تُرِيدُهُ نَفْسُهُ وَهَوَاهُ قَالَ الشَّاعِرُ :

(١) بدأت بالسبق عنده : أي بدأت بأخذ العلم عنه قبل التأمل وحسن الاختيار .
(٢) أتم : ناقص .

إِنَّ الْقَوَى لَمَوْهُوُ الْهَوَاؤُ بَيْنِيهِ وَصَرِيحُ كُلِّ هَوَى صَرِيحُ هَوَاؤٍ
وَيَصْبِرُ عَلَى الْحَيْنِ وَالْبَلَاءِ قَدْ قِيلَ : خَزَائِنُ الْمَتْنِ عَلَى قَاطِرِ الْحَيْنِ .
وَأُنْشِدْتُ ، وَقِيلَ إِنَّهُ لَمِلِي بِنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

أَلَا لَا تَسْأَلِ الْعِلْمَ إِلَّا بِنَيْتِ سَائِيكَ عَنْ مَجْمُوعِهَا بَيَانِ
ذِكَاؤِهِ وَحِرْصِ ، وَأَصْطِلَابِهِ وَبُلْعَةٍ (١) وَإِرْشَادِ أَسْتَاذِ ، وَطُولِ زَمَانِ

وَأَمَّا اخْتِيَارُ الشَّرِيكِ فَيَبْنِي أَنْ يَخْتَارَ الْمَجْدَ وَالْوَرَعَ وَصَاحِبَ الطَّبِيعِ
الْمُسْتَعِيمِ ، وَيَهْرُ مِنْ الْكَسَلَانِ وَالْمَعْمَلِ وَالْمِكْنَارِ وَالْمَقْصِدِ وَالْفَنَانِ (٢)
قال الشاعر :

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَأَبْصُرْ قَرِينَهُ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمَقَارِنِ يَفْتَدِي (٣)

(١) البلغة : ما يبلغ به من العيش

(٢) المكنار : كثير السلام ، والفنان : هو من يثير الفتن والمنازعات

بين الناس

(٣) الذي أعرفه من رواية هذا الشعر هو قوله :

إِذَا كُنْتُ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبِ خِيَارِهِمْ وَلَا تَصْغَبِ الْآرِدَى تُقَرِّدِي مَعَ الرَّدَى

فَإِنْ كَانَ ذَا شَرِّ لِحَاثِهِ سُرْعَةً وَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ فَقَلِيلُهُ تَهْتَدِي
وَأَنْشَدْتُ :

لَا تَصْبُ الكِلَانُ فِي حَالَانِهِ كَمْ صَالِحٍ بفسادٍ آخَرَ يَفْسُدُ
عَدَوَى البِلَدِ إِلَى الجَلِيدِ سَرِيعَةً كالجُرُ بوضعٍ فِي الرَّمَادِ فَيَحْمَدُ

وقال صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ
أَبَوْهُ يَهُودِيَّةً أَوْ نَصْرَانِيَّةً أَوْ مَجَسَّسَةً ، الْحَدِيثُ ، وَيُقَالُ فِي الْحِكْمَةِ بِالْفَارِسِيَّةِ

يَارِبْدُ بَدْرُ بَوْدَازْ مَا يَبْدُ حَقُّ ذَاتِ بَاكِ اللَّهِ الصَّدِّ

يَارِبْدُ آوَدُ تَرَا سَوِيَّ جَحِيمٍ يَارِيسِكُو كَغِيرَتَا بَابِي نَعِيمٍ ^(١)

وقيل :

إِنْ كُنْتُ تَبْعِي الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِهِ أَوْ شَاهِدًا يُخْبِرُ عَنْ غَائِبٍ

عن المرء لَأَسْأَلَ وَهَلْ عَنْ فَرِيئَةٍ فَكُلَّ قَرِينٍ بِالْمَقَارِفِ يَهْتَدِي

ومن هذا المعنى ما رواه ابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : اخبروا الناس بأخواتهم فَإِنَّ الرِّجَالَ يَخْدُونَ مِنْ يَمِينِهِمْ غُيُوهَ ، أَيْ مِنْهُمْ
وطريقته (١) جاء في شرح الشيخ إبراهيم بن إسماعيل لهذا الكتاب يانا
لمعنى هذا الشعر الفارسي : يعني أن صاحب السوء أسوأ من الحبة السوداء
وأكثر منها ضرراً .

فَاعْتَبِرِ الْأَرْضَ بِأَسْمَانِهَا وَاعْتَبِرِ الصَّاحِبَ بِالصَّاحِبِ ^(١)

(فصل في تعظيم العلم وأهله)

اعْلَمْ أَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَا يَنَالُ الْعِلْمَ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ إِلَّا بِتَعْظِيمِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ،
وَتَعْظِيمِ الْأَسَازِ وَتَوْفِيرِهِ ، فَقَدْ قِيلَ : مَا وَصَلَ مِنْ وَصَلَ إِلَّا بِالْحُرْمَةِ ^(٢)
وَمَا سَقَطَ مِنْ سَقَطَ إِلَّا بِتَرْكِ الْحُرْمَةِ . وَقِيلَ : الْحُرْمَةُ خَيْرٌ مِنَ الطَّاعَةِ .
الْأَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكْفُرُ بِالْمَعْصِيَةِ وَإِنَّمَا يَكْفُرُ بِاسْتِخْفَافِهَا وَبِتَرْكِ
الْحُرْمَةِ ، وَمَنْ تَعْظِيمِ الْعِلْمِ تَعْظِيمِ الْمُعَلِّمِ . قَالَ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ : أَنَا عَبْدُ
مِنْ عِلْمِي حَرَقًا وَاحِدًا ، إِنْ شَاءَ بَاعَ ، وَإِنْ شَاءَ أَعْتَنَ ، وَإِنْ شَاءَ اسْتَرْقَّ .
وَقَدْ أَنْشَدْتُ فِي ذَلِكَ شِعْرًا :

(١) فاعْتَبِرِ الْأَرْضَ بِأَسْمَانِهَا : يمكن أن يقال إن المراد بأسمائها الأسماء التي
تطلق عليها : فكلمة ضيعة تدل على أنها أرض ذات ذرع وضرع ، وكلمة حديقة
تدل على أنها ذات أشجار وثمار ... ويمكن أن يقال إن المراد بأسمائها أسماء
ساكنيها : فإذا شاعت بينهم أسماء صخر وحجر والتقارظ ودارم دل ذلك على
أنها أرض جبلية يكثر فيها شجر الفَرْظ والدارم ، وإذا شاع فيها أسماء أسد
وتلَب وكلب أو كلاب مثلا دل ذلك على أن هذه الحيوانات تكثر فيها .
(٢) الحُرْمَةُ : المهابة والتعظيم .

رَأَيْتَ أَحَقَّ الْحَقِّ حَقَّ الْمَعْلَمِ وَأَوْجَبَهُ حِفْظًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
لَقَدْ حَقَّ أَنْ يُهْدَى إِلَيْهِ كَرَامَةٌ بِتَعْلِيمِ حَرْفٍ وَاحِدٍ أَلْفِ دَرَاهِمٍ

فَإِنْ مَنْ عَلَيْكَ حَرْفًا مِمَّا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ فَهُوَ أَبْرَكَ فِي الدِّينِ . وَكَانَ
أَسْتَاذُنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ سَدِيدُ الدِّينِ الشَّيرَازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : قَالَ
مُشَافِعُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ ابْنُهُ عَالِمًا فَيَنْبَغِي أَنْ يَرَأَى
الْفَرَّابَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَيَكْرِمَهُمْ وَيُعْطِيَهُمْ وَيُعْظِمَهُمْ وَيُعْطِيَهُمْ شَيْئًا ، فَإِنْ
لَمْ يَكُنْ ابْنُهُ عَالِمًا كَانَ حَفِيدُهُ عَالِمًا . وَمِنْ تَوْفِيرِ الْمَعْلَمِ الْأَبْمَحْيِ أَمَامَهُ ،
وَلَا يَجْلِسُ مَكَانَهُ ، وَلَا يَبْدِئُ بِالْكَلَامِ عِنْدَهُ إِلَّا يَأْذَنُهُ ، وَلَا يُكْثِرُ الْكَلَامَ
عِنْدَهُ إِلَّا يَأْذَنُهُ ، وَلَا يَسْأَلُ شَيْئًا عِنْدَ مَلَائِكَةٍ ^(١) ، وَبِرَاعَى الْوَقْتِ وَلَا يَدُقُّ
الْبَابَ بَلْ يَصْبِرُ حَتَّى يَخْرُجَ

وَفِي الْجُمْلَةِ يَطْلُبُ رِضَاهُ ، وَيَحْتَنِبُ سَخَطَهُ ، وَيَمْتَلِئُ أَمْرُهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ
اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِلْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

(١) الملائكة : العنبر والسام . وبراعى الوقت : أى لا يفعل شيئاً إلا في الوقت
المناسب له .

وَالسَّلَامُ : «إِنْ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَذْهَبُ دِينَهُ لِدُنْيَا غَيْرِهِ»

وَمِنْ تَوْفِيرِهِ تَوْفِيرُ أَوْلَادِهِ وَمَنْ يَتَلَقَّ بِهِ ، وَكَانَ أَسْتَاذَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ
بُرْهَانُ الدِّينِ صَاحِبُ الْمَدَائِدِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِحَسْبِ أَنْ وَاحِدًا مِنْ كِبَارِ
أَتَمَّةِ بُخَارَى كَانَ يَجْلِسُ يَجْلِسُ الدَّرْسِ وَكَانَ يَقُومُ فِي خِلَالِ الدَّرْسِ أحيانًا
فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّ ابْنَ أَسْتَاذِي يَلْقُبُ مَعَ الصَّيَّانِ فِي السَّكَةِ وَيَجِيءُ
أحيانًا إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَإِذَا رَأَيْتَهُ أَقْرُبُ لَهُ تَعْلِيمًا لِأَسْتَاذِي ، وَكَانَ الْقَاضِي
الْإِمَامُ غُفَرِ الدِّينِ الْأَرَسَابَنْدِيُّ رَئِيسُ الْأَتَمَّةِ فِي مَرُو ، وَكَانَ السُّلْطَانُ
يَحْتَرِمُهُ غَائِبًا لِاحْتِرَامِهِ ، وَيَقُولُ : «إِنَّمَا وَجِدْتُ فِي هَذَا الْمَنْصِبِ مَعْدَمَةَ الْأَسْتَاذِ
فَإِنِّي كُنْتُ أَتَعَدَّمُ الْأَسْتَاذَ الْقَاضِيَّ الْإِمَامَ أَبَا بَرِيدٍ الدُّبُوسِيَّ ، وَكُنْتُ أَتَعَدَّمُهُ
وَأَطِيعُ مَطَاعَمَهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَلَا أَكُلُ مِنْهُ شَيْئًا . وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ
شَمْسُ الْأَتَمَّةِ الْخُلَوَاتِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ بُخَارَى وَسَكَنَ فِي بَعْضِ الْقُرَى
أَيَّامًا حُلَامَةً وَقَعْتُ لَهُ ، وَقَدْ زَارَهُ تَلَامِيذُهُ غَيْرَ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْقَاضِيِّ شَمْسِ
الْأَتَمَّةِ الزُّوْجِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ لَهُ حِينَ لَقِيَهُ : لِمَ لَمْ تَزُرْنِي ؟ فَقَالَ لَهُ :

كُنْتُ مَشْغُولًا بِخِدْمَةِ الْوَالِدَةِ ، فَقَالَ تَزِدُّكَ الْعُمَرُ ، وَلَا تَزِدُّكَ رُوحَ الدِّينِ ،
وَكَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَكُونُ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ الْقُرَى وَلَمْ يَنْتَظِلْهُ الدُّسُ .

فَمَنْ تَأْذَى مِنْهُ اسْتَأْذَنَ بِحَرَمِ بَرَكَةِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ إِلَّا قَلِيلًا

إِنَّ الْمُسْلِمَ وَالطَّيِّبَ كَلَامُهُ لَا يَصْحَانِ إِذَا هُمَا لَمْ يَكْرَمَا
فَاصْبِرْ لِدَانِكَ إِنْ جَفَوْتَ طَيِّبُهُ وَاقْنَعْ بِجَهْلِكَ إِنْ جَفَوْتَ مُعَلِّمًا

وَحَكَى أَنَّ الْخَلِيفَةَ هَارُونَ الرَّشِيدَ بَعَثَ ابْنَهُ إِلَى الْأَصْمَعِيِّ لِيُعَلِّمَهُ
الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ ، فَرَأَاهُ يَوْمًا يَتَوَضَّأُ وَيُغْسِلُ رِجْلَهُ وَابْنُ الْخَلِيفَةِ يَصُبُّ الْمَاءَ
عَلَى رِجْلِهِ ، فَتَنَابَّ الْأَصْمَعِيُّ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : إِنَّمَا بَعَثْتَهُ إِلَيْكَ لِيُعَلِّمَكَ وَتُؤَدِّبَهُ
فَلَبَّاسًا لَمْ تَأْمُرْهُ بِأَنْ يَصُبَّ الْمَاءَ بِأَحَدِي يَدَيْهِ وَيَنْسِلَ بِالْأُخْرَى رِجْلَكَ ؟
وَمِنْ تَعْظِيمِ الْمُعَلِّمِ تَعْظِيمُ الْكِتَابِ ، فَيَنْبَغِي لِلْعَالِمِ الْعِلْمِ أَلَّا يَأْخُذَ

الْكِتَابَ إِلَّا بِالْمُطَهَّارَةِ

وَحَكَى عَنِ الشَّيْخِ تَمِيمِ الْأُمِّيِّ الْحُلَوَائِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّمَا

فَلَيْتَ هَذَا الْعِلْمَ بِالتَّعْظِيمِ ، فَإِنِّي مَا أَعْذْتُ الْكَاعْدَ (١) إِلَّا بِالْمُطَهَّارَةِ . وَالشَّيْخُ
الْإِمَامُ تَمِيمُ الْأُمِّيُّ السَّرْخَسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ مَبْطُونًا (٢) وَكَانَ
يُكْرَهُ (٣) فِي لَيْلَةٍ قَوَّضًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُكْرَهُ
إِلَّا بِالْمُطَهَّارَةِ وَهَذَا لِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ ، وَالرُّوحَ نُورٌ ، فَيَزِدُّ نُورَ الْعِلْمِ بِهِ .
وَمِنْ التَّعْظِيمِ الرَّاجِبِ الْأَيْدِ رِجْلَهُ إِلَى الْكِتَابِ ، وَيَضَعُ كُتُبَ التَّفْسِيرِ
فَوْقَ سَائِرِ الْكُتُبِ تَعْظِيمًا ، وَلَا يَضَعُ عَلَى الْكِتَابِ شَيْئًا آخَرَ ، وَكَانَ
أَسْتَاذَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بَرْمَانَ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَحْكِي عَنْ شَيْخٍ مِنْ
الْمَشَايِخِ أَنَّ قَبْهَا كَانَ وَضَعَ الْحَبْرَةَ عَلَى الْكِتَابِ فَصَالَ لَهُ بِالْفَارْسِيَّةِ :
« بَرْمَانِ (٤) » وَكَانَ أَسْتَاذَنَا الْقَاضِي الْإِمَامُ الْأَجَلُ غُرُّ الْإِسْلَامِ الْمَعْرُوفُ
بِقَاضِيخَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : إِنْ لَمْ يَرُدْ بِذَلِكَ الْاسْتِخْفَافَ فَلَا بَأْسَ

(١) الكاعد بنح النين : القراطس

(٢) المبطون هو من يشكى بطنه (٣) يريد هذا كره العلم

(٤) في شرح الشيخ إبراهيم بن إسماعيل أن معنى هذه الكلمة : لانجد الفهم من علك .

١٤، وَالْأَوَّلَى أَنْ يَتَحَرَّزَ عَنْهُ، وَمَنْ التَّعْطِيلُ الْوَاجِبُ أَنْ يَجُودَ كِتَابَةُ
الْكِتَابِ، وَلَا يَقْرِطُ ^(١)، وَيَتْرَكَ الْحَاشِيَةَ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ. وَرَأَى
أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَاتِبًا يَقْرِطُ فِي الْكِتَابَةِ. فَقَالَ: لِمَ تَقْرِطُ خَطَّكَ
إِنْ عَشْتَ تَدْمًا، وَإِنْ مِتْ قَسَمْتُ. بَيْنِي إِذَا نَحْتُ وَضَعْتُ بَصْرَكَ نَدِمْتُ
عَلَى ذَلِكَ.

وَحُكِيَ عَنِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ الدِّينِ الصَّرْحِيِّ ^(٢) أَنَّهُ قَالَ: مَا قَرِطًا
إِلَّا تَدْمًا، وَمَا تَنْتَجَبَا إِلَّا تَدْمًا، وَمَا لَمْ تَقَابِلْ إِلَّا تَدْمًا ^(٣)، وَيَبْنِي أَنْ يَكُونَ
تَقْطِيعُ الْكِتَابِ مُرَبِّعًا فَإِنَّهُ يَقْطِيعُ أَوْ حَنِيفَةً رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ أَيْسَرُ إِلَى الرَّفْعِ
وَالرُّوْضِ وَالْمُطَالَمَةِ، وَيَبْنِي أَلَّا يَكُونَ فِي الْكِتَابِ شَيْءٌ مِنَ الْخُرَّةِ فَإِنَّهَا

(١) يقْرِطُ: يَدُقُّ الْكِتَابَةَ وَيَصْفَرُّهَا

(٢) فِي نَسْخَةٍ أُخْرَى: الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الدِّينِ الصَّرْحِيُّ

(٣) مَا تَنْتَجَبَا: لَحْمًا، أَوْ مَاتَرَكَا شَيْئًا إِلَّا احْتَجَبَا إِلَى مَاتَرَكَاهُ وَوَدَدَا
لَوْ كَانَ مَامَعْنَا مَفْصَلًا مَتَوَسِّعًا فِيهِ. وَمَا لَمْ تَقَابِلْ: أَيْ مَا قَارَفَا فِي الْمَرَاجِمَةِ وَمَقَابِلَةِ
النَّسْخَةِ الْمَكْتُوبَةِ حَدِيثًا عَلَى الْآخَرَى الْمَحْصَحَةِ إِلَّا تَدْمًا لَنُورُنَا عَلَى أَعْيَاضِهَا
وَأَعْلَاطِهَا فِي النُّسخَةِ الْحَدِيثَةِ.

صَنِيعُ الْقَلَامَةِ لَا صَنِيعُ السِّفِّ: وَمِنْ مَقَابِلَتَا مَنْ حَكَرَهُ اسْتِمَالًا
لِلْمُرْكَبِ ^(١) الْآخَرِ. وَمِنْ تَعْطِيلِ الْعِلْمِ تَعْطِيلُ الشَّرْكَاءِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالذَّرْسِ
وَمَنْ يَعْلَمُ مِنْهُ. وَالتَّحْلُقُ ^(٢) مَذْمُومٌ إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ يَبْنِي أَنْ يَشْتَلِقَ
لِاسْتَاذِهِ وَشُرَكَائِهِ لِيَسْتَعِيدَ مِنْهُمْ، وَيَبْنِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَسْتَمَعَ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ
بِالتَّعْطِيلِ وَالْحَرَمَةِ، وَإِنْ سَمِعَ الْمَثَلَةَ الْوَاحِدَةَ أَوْ الْكَلِمَةَ الْوَاحِدَةَ أَلْفَ مَرَّةٍ
قِيلَ مَنْ لَمْ يَكُنْ تَعْطِئِهِ بَعْدَ أَلْفِ مَرَّةٍ كَتَمَ طِيبَهُ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ، فَلَيْسَ بِأَعْلَى
الْعِلْمِ وَيَبْنِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ الْإِخْتَارَ نَوْعَ عِلْمٍ بِنَفْسِهِ بِلَدْفَوْضِ أَمْرِهِ إِلَى الْأَسَازِ
فَإِنَّ الْأَسَازَ قَدْ حَصَلَ لَهُ التَّجَارِبُ فِي ذَلِكَ فَكَانَ اعْرِفَ بِمَا يَبْنِي لِكُلِّ أَحَدٍ
وَمَا يَلِيقُ بِطَبْعِيَّتِهِ. وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ الْأَسَازُ بَرَهَانَ الدِّينِ يَقُولُ

كَانَ طَلِبَةُ الْعِلْمِ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ يُفَوِّضُونَ أُمُورَهُمْ فِي التَّعَلُّمِ إِلَى اسْتَاذِهِمْ،
فَكَانُوا يَصِلُونَ إِلَى مَقَاصِدِهِمْ وَمُرَادِهِمْ؛ وَالْآنَ يَخْتَارُونَ بِأَنْفُسِهِمْ فَلَا يَحْصُلُ

(١) الْمُرْكَبُ: الْمُدَادُ

(٢) التَّحْلُقُ: التَّرَوُّدُ وَالتَّطَلُّفُ. وَالتَّحْلُقُ الْمَذْمُومُ هُوَ الْمُتَكَلِّفُ الْمَصْطَنَعُ اسْتِجْلَابًا
لِقَائِدَةِ مَادِيَةٍ لِأَنَّهُ حَيْثُ يُدَلُّ عَلَى الضَّعْفِ وَالْمَاهَاةِ وَالصَّغَارِ.

مَقْصُودٌ مِنَ الْعِلْمِ وَقَفَهِ، وَكَانَ يَحْكِي أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْبَخَارِيَّ رَحِمَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى كَانَ بَنَى بِكِتَابِ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ رَحِمَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى: أَذْهَبَ وَقُلْتُ عِلْمَ الْحَدِيثِ. لَمَّا رَأَى أَنَّ ذَلِكَ الْعِلْمَ الْيَقِيْنَ يَطْلُبُهُ
 فَطَلَبَ عِلْمَ الْحَدِيثِ فَصَارَ فِيهِ مُقْتَمًا عَلَى جَمِيعِ أُمَّةِ الْحَدِيثِ. وَبَنَى لَطَالِبِ
 الْعِلْمِ الْأَاجِلِ قَرِيبًا مِنَ الْأَسَازَةِ عِنْدَ السَّيِّ (١) بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ، بَلْ يَبْنِي
 أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَسَازَةِ قَدَرُ الْقَوْسِ، فَأَقْرَبُ إِلَى التَّعْظِيمِ. وَبَنَى
 لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْتَرِزَ عَنِ الْأَخْلَاقِ النَّعِيْمَةِ، فَإِنَّهَا كَلَابٌ مَتَوَيْةٌ، وَقَدْ
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَدْخُلِ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ
 صُورَةٌ. وَإِنَّمَا يَسْتَلِمُ الْإِنْسَانُ بِرَاسِطَةِ الْمَلِكِ، وَالْأَخْلَاقُ النَّعِيْمَةُ تُعْرِفُ
 فِي كِتَابِ الْأَخْلَاقِ، وَكِتَابًا هَذَا لَا يَحْتَمِلُ بَيَانَهَا. وَلِيَحْتَرِزَ خُصُوصًا عَنِ
 التَّكْبِيرِ قَعَ التَّكْبِيرِ لَا يَحْصُلُ الْعِلْمُ. قِيلَ:

(١) السِّيقُ: اسْتِغَاعُ الْغَرَسِ، وَكَأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَطْلُقُ فِي سُورَةِ التَّائِيَاتِ
 «فَالسَّائِقَاتُ سَبَقًا» عَلَى رَأْيٍ مِنْ فَرَسِهِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَالْجَنَّ كَانُوا يَسْبِقُونَ إِلَى
 اسْتِغَاعِ الْوَسِيِّ.

الْعِلْمُ حَرْبٌ لِقَى الْمُتَعَالَى كَالْقَيْلِ حَرْبٌ لِلْمَلَكِ الْعَالِي
 وَقِيلَ:

يَجْدِي لَا يَجِدُ كُلُّ يَجِدٍ قَهْلٌ جَدٌ يَلَاجِدُ يَجْدِي (١)
 فَكَمْ عَيْدٌ يَقُومُ مَقَامَ حَرٍْ وَكَمْ حَرٍْ يَقُومُ مَقَامَ عَيْدٍ (٢)

(فصل في الجِدِّ والمُواظَبةِ والمُهَمةِ)

ثُمَّ لَا يَدُ مِنَ الْجِدِّ وَالْمُواظَبةِ وَالْمَلَاظِمَةِ لَطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ فِي
 الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنَّا لَهُدْيُهُمْ سُبُلَنَا» وَقَوْلُهُ تَعَالَى
 «يَأْتِي خِذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ» وَقَدْ قِيلَ: مَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَ وَجَدَ، وَمَنْ

(١) يَجْدِي بِكَسْرِ الْجِيمِ: أَيْ بِلَفْتِ الْعَلَا بِاجْتِهَادِي وَنَشَاطِي فَأَنَا عَصَايَ. لَا يَجِدُ
 كُلُّ عَيْدٍ: أَيْ لَمْ أَصِلْ إِلَى غَرَضِي بِسَبَبِ غَيْرِي وَاجْتِهَادِي سِوَايَ ثَلَسْتُ عِظَامِيَا قَهْلُ
 جَدٌ يَفْتَحُ الْجِيمَ: حِطٌّ وَبُخْتٌ، أَيْ أَنَّ الْحِطَّ وَالْبُخْتَ لَا يَجِدُ شَيْئًا إِذَا لَمْ يَكُنْ
 هُنَاكَ جَدٌ وَاجْتِهَادٌ، وَفَرَضُ السَّادَةِ وَالْجِدُّ تَسَحُّ لِكُلِّ النَّاسِ أَوْ لَا كَثَرَتُمْ وَلَكِنْ
 قُلْ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَهِيهَا، هُمُ الْكَاطِبَاتُ يَحُلِقُ فِرْقَ الرُّؤْسِ فَالْيَقِظُ التَّشْيِيطُ يَنْبُ إِلَيْهِ
 وَيَسِيءُ، وَالْكَسُولُ الْبَلِيدُ يَقِفُ أَمَامَهُ جَامِدًا

(٢) بَنَى أَنَّ الْجِدَّ وَالْمُعْمَلَ يَرْفَعُ الْعَيْدَ الْأَذْلَا إِلَى مَقَامِ السَّادَةِ الْأَجَادِ وَالْكَسَلَ
 وَالْغَوْلَ يَحِطُّ السَّادَةُ الْأَشْرَافُ إِلَى حَضِيضِ الْعَيْدِ الْأَذْلَا.

قَرَعَ الْبَابَ وَجَّ وَجَّ (١). وَقِيلَ: يَقْدِرُ مَا تَمَنَّى تَأَلَّ مَا تَمَنَّى قِيلَ: يَحْتَاجُ
فِي التَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ إِلَى الْجِدِّ ثَلَاثَةً: الْمُتَعَلِّمُ وَالْأَسَازُ وَالْأَبَ إِنْ كَانَ فِي
الْأَجَدِ أَتَشَفَّى الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَسَازُ سَدِيدُ الدِّينِ الشُّرَاذِي وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ
لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ:

الْجِدُّ يَدْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَاسِعٍ وَالْجِدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُنْتَقِ
وَأَحَقُّ خَلْقِ اللَّهِ بِالْمِ أَمْرُ دُوْهُمَ يُلِي بِعَيْشٍ ضَيِّقٍ
وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَحُكْمِهِ بُوْسُ اللَّيْبِ وَطَيْبُ عَيْشِ الْأَحْقِ (٢)
لَكِنَّ مِنْ رِزْقِ الْحَيِّ حَرَمِ النَّبِيِّ ضِدَانٍ يَقْتَرِفَانِ أَيْ تَفَرَّقُ

(١) لج: ألح وشدد. ووج: دخل

(٢) حيث كان يجب أن يكون البيت هو النبي الطيب العيش لغوته بمقله
وذاكاته فلما رأينا الأحق النبي هو الأكثر غنى والأطيب عيشاً عرفنا أن هناك
قوة أخرى هي التي قلبت الأمر وعكست ما يقتضيه العقل والمطابق وتلك القوة
هي التي يسميها الشاعر حكم القضاء أي تضادته وحكمه. ولكن ما أحسن قول النبي:
ذو العقل يشقى في النعم بمقله. وأشوا الجاهلة في الشقاوة ينعم

وَأَنْشَدْتُ لِنَبِيِّ:

تَمَنَيْتُ أَنْ تُحْيِيَ قَبِيحاً مَنَاطِراً بِسَيْرِ غَنَاءٍ وَالْجَنُونَ فَرُونَ
وَلَيْسَ كِتَابُ الْمَالِ دُونَ مَعْقَةٍ مَحْمَلُهَا، قَالِمٌ كَيْفَ يَكُونُ؟ (١)
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:

وَلَمْ أَرُ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّكَامُلِ (٢)
وَلَا بُدَّ لِلطَّالِبِ مِنْ سَهْرِ اللَّيَالِي كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

يَقْدِرُ الْكَدُّ تَكْتَسِبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْمَلَأَ سَهْرَ اللَّيَالِي
تَرُومُ الْبَرِّ ثُمَّ تَأْتُمُ لَيْلًا بِفَرُوسِ الْبَحْرِ مَنْ طَلَبَ الْأَلَّ
عُلُوَّ الْكَدِّ (٣) بِالْهَمِّ الْعَوَالِي وَعَزُ الْمَرْءِ فِي سَهْرِ اللَّيَالِي

(١) أي يكون اكتساب العلم بدون مشقة مع أنه أعظم شأناً وأصعب
مثلاً من المال

(٢) أي أن أعظم عُيُوبِ القادرين هو تعصيرهم عن بلوغ الغاية فيما يقدرُونَ
عليه بسبب الإهمال والتفريط والكسل

(٣) يعني ارتفاع الشأن .

وَمَنْ رَامَ الْعِلْمَ مِنْ غَيْرِ كَدِّ أَصْنَعَ الْعَمَلِ فِي طَلَبِ الْفَعْلِ
تَرَكْتُ النَّوْمَ رَبِّي فِي الْيَالِ لِأَجْلِ رِضَاكَ يَا مَوْلَى الْمَوَالِ
فَوَقَفْتُ إِلَى تَحْصِيلِ عِلْمٍ وَبَغِنِي إِلَى اقْتِصَافِ الْمَسَالِ
وَقِيلَ: اخْتِذْ الْبَيْتَ جُمْلًا تُدْرِكُ بِهِ أَمَلًا. قَالَ الْمَصْنُفُ (١) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
وَقَدْ اتَّفَقَ لِي نَفْثٌ فِي هَذَا الْمَقْنَى:

مَنْ شَاءَ أَنْ يَحْتَوِيَ أَمَالَهُ جُمْلًا فَلْيَتَّخِذْ لَيْلَهُ فِي دَرْكِهَا جَمْلًا
إِنْ شِئْتَ يَا صَاحِبِي أَنْ تَبْلُغَ الْكَلَامَ (٢)

وَقِيلَ: مَنْ أَسْبَرَ نَفْسَهُ بِاللَّيْلِ، فَقَدْ فَرَحَ قَلْبُهُ بِالنَّهَارِ، وَلَا يَدَّ لَطَائِبِ
الْعِلْمِ مِنَ الْمُوَاطَّئَةِ عَلَى الدُّرُسِ وَالشُّكُورِ فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ وَآخِرِهِ، فَإِنْ مَا يَنْ
الْمُتَعَلِّمِينَ وَوَقْتُ السَّحْرِ وَقْتُ مَبَارَكٍ. قِيلَ فِي الْمَقْنَى شِعْرٌ:

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ بَانِي الْوَرَعَا وَجَنِّبِ النَّوْمَ وَأَتْرِكَ الشَّبَا

(١) يريد نفسه

(٢) الكل ينفع الكاف والميم: الكامل، ويريد به للكمال.

قَادِمٌ عَلَى الدُّرُسِ لَا تَقَارِهِ قَاتِلُ الدُّرُسِ قَامَ وَارْتَفَعَا
فَيَنْتِمْ أَيَّامَ الْحَدَاثَةِ وَغُفْرَانِ (١) الشَّبَابِ كَمَا قِيلَ:

بَقْدَرِ الْكَدِّ تَمَلُّ مَا تَرُومُ قَنَّ رَامَ الْمُنَى لَيْلًا بِقَوْمٍ
وَأَيَّامَ الْحَدَاثَةِ قَاغَتِمَهَا أَلَا إِنَّ الْحَدَاثَةَ لَا تَدُومُ

وَلَا يُجْهِدُ نَفْسَهُ جُهْدًا، وَلَا يُضَيِّفُ النَّفْسَ حَتَّى يَنْقَطِعَ عَنِ الْعَمَلِ بَلْ
يَسْتَعْمِلُ الرَّقْصَ فِي ذَلِكَ، وَالرَّقْصُ أَسْلُ عَظِيمٌ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ. قَالَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَالسَّلَامُ: «وَأَلَا إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا (٢) فِيهِ بِرَفْقٍ،
وَلَا تُبْغِضُ (٣) عَلَى هَيْكَلِ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ (٤) لَا أَرْضًا تَطْلُعُ
وَلَا ظَهْرًا تُنْبِتُ». وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَنَفْسُكَ مِطْبَكُكَ فَارْقُصْ بِهَا. وَلَا يَدَّ
لَطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْغِنَى الْعَالِيَةِ فِي الْعِلْمِ، فَإِنَّ الْمَرْءَ يَطِيرُ بِهَيْمَتِهِ كَالطَّيْرِ،
يَطِيرُ بِمُتَابَعَةٍ.

(١) غفران الشباب: قومه وجمعه (٢) أوغلو: اذهبوا فيه وتصفروا

(٣) تبغض: تلعب نفسك: تتقل وتصب

(٤) المنبت: المنقطع عن السفر لإجهاده مطيع حتى سقطت.

قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

عَلَى قَدْرِ أَمَلِ الدَّرَمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ وَتَنْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَنَائِرُهَا وَتَصْنَعُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ التَّنَظُّمُ^(١) وَالرَّأْسُ^(٢) فِي تَحْصِيلِ الْأَشْيَاءِ الْجِدِّ وَالْهَمَّةِ الْعَالِيَةِ ، قَدْ كَانَتْ مَتَّ حِفْظُ جَمِيعِ كُتُبِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاقْتَرَنَ بِذَلِكَ الْجِدُّ وَالْمَوَاطَنَةُ ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يَحْفَظُ أَكْثَرَهَا أَوْ نَصْفَهَا ، فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ جِدٌّ ، أَوْ كَانَ لَهُ جِدٌّ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ ، فَلَا يَحْصِلُ لَهُ عِلْمٌ إِلَّا الْقَلِيلُ . وَذَكَرَ الشَّيْخُ الْأَجَلُ الْإِمَامُ الْأَسْتَاذُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ الْبُيُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ أَنَّ ذَا الْقَتَرَيْنِ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُسَافِرَ لِبَسْتُولِي

(١) العزائم: جمع عزيمتهى الإرادة والتعميم . والمعنى أن العزائم والمكارم تتكون بحسب أقدار فاعليها ؛ فإذا كانت أقدار فاعليها عظيمة كانت هي عظيمة أبطار إذا كانت أقدارهم صغيرة كانت عزائمهم ومكارمهم صغيرة أيضا لأن صنف الهمة صغير النفس يرى الأمور الصغيرة كبيرة عظيمة . أما عال الهمة ، كبير النفس ، فإنه يرى الأمور صغيرة وصعابها سهلة هينة
(٢) الرأس في تحصيل الأشياء: يعنى الأصل والأساس .

عَلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ شَاوَرَ الْحَكَمَاءَ فِي ذَلِكَ ، وَقَالَ : كَيْفَ أَسَافِرُ بِمَدَا الْقَدْرِ مِنَ الْمَلِكِ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَلِيلَةٌ قَالَتْ : وَمَلِكُ الدُّنْيَا أَمْرٌ حَقِيرٌ ، فَلَبَسَ هَذَا مِنْ عُلُوِّ الْهَمَّةِ . فَقَالَ الْحَكَمَاءُ : سَافِرْ لِيَتَّصِلَ لَكَ مَلِكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . قَالَ : هَذَا أَحْسَنُ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ أَقْبَلَ تَعَالَى يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَيَكْرَهُ سَفَافَهَا^(١) . وَقِيلَ :

فَلَا تَعْبَلْ بِأَمْرِكَ وَاسْتَعِمْ قَاصِلِي عَصَاكَ كَتَبْتِهِمْ^(٢) قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ لِأَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى : كُنْتُ أَبِيدًا فَأَخَّرَنِيكَ الْمَوَاطَنَةُ ، وَإِيَّاكَ وَالْكَسَلَ فَإِنَّهُ شَوْمٌ وَأَقَّةٌ عَظِيمَةٌ . قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو نَصْرِ الصَّفَّارُ الْأَنْصَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

يَأْتِي بِأَنْفَسٍ يَأْتِي لَأَتْرُخِيَ عَنِ الْعَمَلِ فِي الْبِرِّ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي مَهَلٍ لِكُلِّ ذِي عَمَلٍ فِي الْخَيْرِ مُقْتَبِطٍ وَفِي بَلَاءٍ وَشَوْمٍ كُلِّ ذِي كَسَلٍ

(١) السفاف: الردى المحقر

(٢) صلى عصاك: أى لبنا بالثأر ليسهل تخريمها : والمعنى أن خير وسائل تفويم الموج وإصلاح القاسد ، الاستقامة والاستمرار .

قَالَ الْمُصَنِّفُ وَقَدْ اتَّخَذَ لِي فِي هَذَا الْمَعْنَى:

دَعَى نَفْسِي التَّكَاثُلَ وَالْتَوَانِي ^(١) وَلَا قَائِمِي فِي ذَا ^(٢) الْهَوَانِ
قَلَمٌ أَرَى لِكَلِّكَ الْخَطَّ يُعْطِلُ سِوَى نَفْسِي وَحِرْمَانِ الْأَمَانِ
وقيل:

كَمْ مِنْ حَيَاةٍ وَكَمْ عَجْزٍ وَكَمْ نَعْمٍ جَمَّ تَوَلَّى لِلْإِنْسَانِ مِنْ كَيْلٍ ^(٣)
إِيَّاكَ عَنْ كَيْلٍ فِي الْبَحْثِ عَنْ شَيْءٍ فَأَعْلَتْ، وَمَقْدَشَذَّ عَنْكَ سِلَ ^(٤)
وَقَدْ قِيلَ: الْكَيْلُ مِنَ اللَّهِ التَّأَمُّلُ فِي مَنَاقِبِ الْعِلْمِ وَفَضَائِلِهِ، فَيَنْبَغِي لِلتَّعَلُّمِ
أَنْ يَمُتَ نَفْسَهُ عَلَى التَّحْصِيلِ وَالْجِدِّ وَالْمَوَاطَنَةِ بِالتَّأَمُّلِ فِي فَضَائِلِ الْعِلْمِ،
فَإِنَّ الْعِلْمَ يَتَّبِعُ بَقَاةَ الْمَعْلُومَاتِ، وَالْمَالُ يَفْنَى، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ

(١) ذَا الْهَوَانِ: أَيُّ هَذَا الْهَوَانِ

(٢) الرُّادُ بِالْحَيَاةِ هَذَا الْحُجْلُ، يَعْنِي أَنَّ الْكَيْلَ كَثِيرًا مَا غِبِلَ الْإِنْسَانُ بِهِ
وَوَقَفَ مَاجِرًا تَادِمًا

(٣) لِرَاكٍ عَنْ كَيْلٍ: ابْتِدَعَ عَنِ الْكَيْلِ، شَذَعَكَ، بَعْدَ عَنْكَ وَصَبَّ عَلَيْكَ
أَيُّ لَا تَوَانٍ وَلَا تَرْطُ فِي الْبَحْثِ وَالتَّغْيِبِ حَتَّى تَقْرَعَ عَلَى مَا رِجِلَ مَا عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ
وَشَكْرِكَ، فَالْفَنَى اسْتَطَعْتُ أَنْ تَهْلِكَ بِنَفْسِكَ أَكْثَرِيَّةً بِهِ، وَالْفَنَى صَبَّ عَلَيْكَ
الِاهْتِدَاءُ إِلَى الصَّرَافِ فِيهِ فَسَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهِ.

أَبْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ:

رَحِمْنَا نَفْسَةَ الْجَبَّارِ نِفَا لَسَا عِلْمٌ وَلِلْأَعْدَاءِ مَالٌ
فَإِنَّ لِكَلِّكَ الْبَقَاةَ عَنْ قَرِيبٍ وَإِنَّ الْعِلْمَ يَتَّبِعُ لَا يَزَالُ

وَالْعِلْمُ النَّافِعُ يَحْصُلُ بِهِ حُسْنُ الذِّكْرِ وَيَقْبُ ذَلِكَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَأَيُّ حَيَاةٍ
أَبَدِيَّةٍ. أَتَشَدُّ نَاشِئُ الْإِمَامِ الْأَجَلُ ظَهِيرُ الدِّينِ مَعْنَى الْأَيْمَةِ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ
الْمَعْرُوفُ بِالْمُرْغِثَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

الْجَاهِلُونَ قَوَّوْا قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَالْعَالِمُونَ وَإِنْ مَاتُوا فَأَحْيَاهُ ^(١)
وَأَشَدُّ نَاشِئُ الْإِسْلَامِ بَرْهَانُ الدِّينِ:

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ فَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورٌ
وَإِنْ أَمَرًا لَمْ يَحْيَ بِالْعِلْمِ مَيِّتٌ وَلَيْسَ لَهُ حِينَ النُّشُورِ نُشُورٌ ^(٢)

(١) مَرَقٌ: جَمْعُ مَيِّتٍ، وَاتِّفَاقٌ عَلَى تَقْدِيرِ أَمَّا فِي السَّلَامِ: أَيُّ أَمَّا الْجَاهِلُونَ
نَحْمُ مَوْتٍ.

(٢) النُّشُورُ: الْبَعْثُ، يُقَالُ: يَوْمَ النُّشُورِ أَيُّ يَوْمِ الْبَعْثِ.

وقال غيره :

أخروا العلم حتى خالده بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم^(١)
وذو الجاهل بيت وهو يمشي على الترى بطن من الأحيايم وهو عديم^(٢)

وقال آخر :

حياة القلب علم فاعتنمه وموت القلب جهل فاجتنبه
وأشدنا الشيخ الأستاذ شيخ الإسلام برهان الدين رحمه الله :

ذَا الْمِلْمِ أَعْلَى رُبَّةٍ فِي الْمَرَاتِبِ وَمِنْ دُونِهِ عِزُّ الْعَلِيِّ فِي الْمَوَاقِبِ^(٣)
فَقَدْو الْمِلْمِ يَبْقَى عِزُّهُ مُتَضَاعِفًا وَذُو الْجَاهِلِ بَعْدَ الْمَوْتِ تَحْتَ التَّارِبِ^(٤)

(١) رميم : بالية وقانية

(٢) الترى : التراب التلى والمقصود به هنا الأرض

(٣) المراكز جمع موكب ، وهو الجاعة السائرة ركباناً أو مشاة ، والمقصود
مطلق الجاعة ، يبنى أن هذا العلم منزله أعلى المنازل وأشرافها وكل المعال والرياسات
في الجاعات دونه في الشرف والرامة

(٤) التياب جمع تيرب وهو التراب ، يعنى أن المتعلم لا يزول عزه وبجده
بعد وفاته بل يبقى كاملاً غير منقوص ، وقد يتضاعف بما يناله في الآخرة من
سعادة ونعيم . أما الجاهل فلن عزه يزول بعد دفنه تحت التراب .

تَهَبَّتْ لِأَبْرَجٍ مَدَاهُ مِنْ أَرَقَى رُقِي وَلِي الْمَلِكِ وَالِي الْكَتَائِبِ^(١)
سَأَمِلَ عَلَيْكُمْ بَعْضُ مَا فِيهِ فَاسْمَعُوا فِي حَصَرٍ عَنْ ذِكْرِ كُلِّ الْمَنَاقِبِ^(٢)
هُوَ النُّورُ كُلُّ النُّورِ يَهْدِي عَنِ الْقَمَى وَذُو الْجَاهِلِ مَرُّ الدَّهْرِ بَيْنَ النَّيَافِ^(٣)
هُوَ الذُّرَّةُ الشَّمَاءُ تَحْمِي مِنَ النَّجَا إِلَيْهَا وَيَمْشِي أَمَانًا فِي النَّوَابِ^(٤)
يَهْ يَنْتَجِي وَالنَّاسُ فِي غَفْلَتِهِمْ يَهْ يَرْتَجِي وَالرُّوحُ بَيْنَ التَّرَائِبِ^(٥)
يَهْ يَشْفَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ رَاحِ عَاصِيَا إِلَى دَرَكِ التَّيْرَانِ شَرِّ الْعَوَاقِبِ^(٦)

(١) مناه : فائمه . والى : حاكم ، الكتائب : جمع كتية وهي الفرقة العظيمة
من الجنود يعنى أن الملوك والسلطين أصحاب الجنود العديدة والجيوش الكبيرة
لا يبلغون من العز والجد مبلغ العلماء والحكام .

(٢) حصر بفتح الحاء . والصاد : مجزوعى . المناقب جمع منقبة : المفضلة والفضيلة

(٣) مر الدهر : مدى الدهر ، النياح جمع غيب : الظلام الشديد

(٤) الذررة : ذروة كل شيء أعلاه ذررة الجبل قته ، والشماء : المرتفعة
العالية ، أى أن العلم ينجى صاحبه من المهالك ، ويحميه من المطالب كما تحمى الذررة
العالية من التجأ إليها وتجي من اغتصم بها (٥) ينتجى : يطلب النجاة ، الترائب :
عظام الصدر ، يعنى أن العلم ينجى من الضلال في الحياة الدنيا ومن المضايق في
الآخرة ويرسو المرء حين تحضره الوفاة أن يفرق الله له ذنوبه

(٦) يشفع الإنسان من راح عاصيا : أى يعض العالم بعض حسنة إلى حسنات

قَنَّ رَامَهُ رَامَ الْمَرْبِ كُلَّهَا وَمَنْ حَازَهُ قَدْ حَازَ كُلَّ الْمَطَالِبِ (١)
 هُوَ الْمَنْصَبُ الْعَالِي فَإِذَا مَاحَبَ الْحِجَابَ إِذَا نَلَتْهُ هَوْنٌ بِقُوَّةِ الْمُنَاصِبِ (٢)
 فَإِنْ فَاتَكَ الدُّنْيَا وَطِيبُ نَيْمِهَا فَتَمَسَّ فَإِنَّ الْعِلْمَ خَيْرُ الْمَوَارِبِ
 وَأَنْتَدْتُ لِبَعْضِهِمْ :

إِذَا مَا عَزَّ ذُو عِلْمٍ يَمِلْ فَمِلْ الْفَقْهَ أَوَّلَ بِاعْتِزَالِ
 فَكَمْ طِيبٌ يَفُوحُ وَلَا كَيْفَ وَكَمْ طَيْرٌ يَطِيرُ وَلَا كِبَازِي (٣)

من مات عاميا، قد جمع حسنة على سيئاته فيغفر له الله ويغفر عنه. والدرك جمع دركة وهي المزة. فهي في المبوط تقابل الفرجة في الصعود. والمواقب جمع عاقبة وهي النهاية. وشر بالجر صفة للتران.

(١) رامه : طله، والمآرب جمع مأرب : الفرض والمطلب.
 (٢) المنصب يفتح الميم والمعاد : القام. الحجا : العقل، هون بقت المنصب : اعتبر فوات المناصب الأخرى وضياعها والحرمان منها أمرها لا يؤبه بها لاهتمام به
 (٣) يفوح : ينتشر. والبيت يتضمن مثلين سائر ينضرب كل منهما لبيان فضل الشيء وغيره أخضل منه : فكم طيب يفوح ولا كسك أي أن الطيب الذي تنتشر رائحته وتظهر الجوكثير ولكنه في طيب رائحته وجمال شفا ليس كالسك لأن السك أطيب منه وأزكى، وكذلك وكم طير يطير ولا كبازي : معناه أن البازي أغرى الطيور كلها وأشدها طيرانا.

وَأَنْتَدْتُ أَيْضًا :

الْفَقْهُ أَنْفُسُ نَحْوِهِ أَنْتَ دَاخِرُهُ مَنْ يَدْرُسُ الْعِلْمَ لَمْ تَدْرُسْ مَفَاخِرُهُ (١)
 فَاتَّكِبْ لِنَفْسِكَ مَا أَصْبَحَتْ بِحُجْلِهِ فَأَوَّلُ الْعِلْمِ إِبْقَالُ وَآخِرُهُ
 وَكَفَى بِلَذَّةِ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ دَاعِيَا وَبَاعِنَا لِلْعَاقِلِ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ . وَقَدْ بَوَّلَهُ
 الْكَلُّ مِنْ كَثْرَةِ الْبَلَنِّمِ وَالرُّطُوبَاتِ وَطَرِيقِ تَقْلِيلِ الطَّعَامِ . قِيلَ :
 اتَّفَقَ سَبْعُونَ نَبِيًّا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ مِنْ كَثْرَةِ
 الْبَلَنِّمِ وَكَثْرَةِ الْبَلَنِّمِ مِنْ كَثْرَةِ شُرْبِ الْمَاءِ ، وَكَثْرَةِ شُرْبِ الْمَاءِ مِنْ كَثْرَةِ
 الْأَكْلِ ، وَالْخُبْرُ الْيَاسُ يَقَطُّعُ الْبَلَنِّمَ ؛ وَكَذَلِكَ أَكْلُ الزَّيْبِ عَلَى الرَّبِيقِ ،
 وَلَا يَكْثُرُ مِنْهُ حَتَّى لَا يَحْتَاجَ إِلَى شُرْبِ الْمَاءِ فَيَزِيدَ الْبَلَنِّمَ ، وَالسَّوَاكُ يُقَلِّلُ
 الْبَلَنِّمَ وَيَزِيدُ فِي الْحِفْظِ وَالْقَصَاحَةِ ، فَإِنَّهُ سَتَةٌ سَيِّئَةٌ ، وَيَزِيدُ فِي تَوَاتُبِ الصَّلَاةِ
 وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ؛ وَكَذَلِكَ التَّقِيُّ يَخْلُ الْبَلَنِّمَ وَالرُّطُوبَاتِ ، وَطَرِيقُ تَقْلِيلِ

(١) المراد بالفقه في هذا البيت العلم مطلقا . وداخره أي مدخره . ومقصده ، من يدرس العلم أي يفقهه ، ولم تدرس مفاخره أي لم تنسج أسباب غره ودواعي مجده .

الْأَكْلِ التَّامُّلُ فِي مَنَافِعِ قِلَّةِ الْأَكْلِ ، وَمِنْ الصَّحَّةِ وَالْعِفَّةِ وَالْإِثَارُ (١)
وَقَدْ قِيلَ :

قَسَّارٌ ثُمَّ عَارٌ ثُمَّ عَارٌ شَقَلَهُ الْمَرْءُ مِنْ أَجْلِ الطَّعَامِ (٢)
وَعَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : ثَلَاثَةٌ يَغْنِضُهُمُ اللَّهُ تَمَالً
مَنْ غَيْرُ جُزْمٍ (٣) : الْأَكُولُ وَالْبَخِيلُ وَالْمُتَكَبِّرُ ، وَالتَّمَالُّ (٤) فِي مَضَارِّ كَثْرَةِ
الْأَكْلِ وَمِنْ الْأَمْرَاضِ وَكَثَلَةِ الطَّعْمِ . قِيلَ : الْبُطْنَةُ تَذْهَبُ الْفُطْنَةَ (٥)

(حِكْمٌ) عَنْ جَالِينُوسٍ أَنَّهُ قَالَ : الزَّمَانُ قُفْعُ كُلِّهِ ، وَالسَّمَكُ ضَرَرُ كُلِّهِ ،

(١) الإِثَارُ : هُوَ اخْتِيَارُ مَنَفْعَةِ الْغَيْرِ وَمَصْلَحَتُهُ عِنْدَ تَمَارُضِهَا مَعَ مَنَفْعَةِ النَّفْسِ
وَمَصْلَحَتِهَا ، كَالِذَا كَانَ اِثْنَانِ فِي حَالَةٍ عَطَشٍ وَمَعَ أَحَدِهِمَا مَا يَكْفِيهِ وَحْدَهُ مِنْ
الْمَاءِ فَيُقَدِّمُهُ لِرَفِيقِهِ وَيَحْرَمُ مِنْهُ نَفْسَهُ

(٢) أَيْ أَنَّ الطَّعَامَ وَحْدَهُ لَا يَسْتَقِ أَنْ يَشْبِقَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِهِ لِأَنَّ
الْقَبْلَ مِنْهُ يَكْفِي ، وَالَّذِي يَسْتَقِ أَنْ يَشْبِقَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِهِ إِنَّمَا هُوَ الْعِلْمُ
لِأَنَّهُ السَّبِيلُ الْوَحِيدُ إِلَى الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ

(٣) جِزْمٌ : إِثْمٌ وَذَنْبٌ

(٤) وَالتَّمَالُّ بِالرَّفْعِ لِأَنَّهُ مَعْرُوفٌ عَلَى التَّمَالُّ فِي مَنَافِعِ قِلَّةِ الْأَكْلِ

(٥) الْبُطْنَةُ بِكَسْرِ الْبَاءِ : امْتِلَاءُ الْبَطْنِ بِالْأَكْلِ ، وَالْفُطْنَةُ بِكَسْرِ الْفَاءِ :

الذَّكَاءُ وَالتَّقِظُ .

وَقِلَّةِ السَّمَكِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الرَّمَانِ . وَفِيهِ أَيْضًا إِثْلَافُ الْمَتَالِ ، وَالْأَكْلُ
فَوْقَ الشَّيْءِ ضَرْبٌ مَحْضٌ ، وَيَسْتَحِقُّ بِهِ الْعِقَابُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَالْأَكُولُ
بِنَيْضٍ فِي الْقُلُوبِ ، وَطَرِيقُ تَحْلِيلِ الْأَكْلِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَطْعَمَةَ الدَّيْسَةَ ،
وَيَقْدَمَ فِي الْأَكْلِ الْأَلْفَافَ وَالْأَشْيَاءَ ، وَلَا يَأْكُلَ مَعَ الْجَبَاعِ ، إِلَّا إِذَا
كَانَ لَهُ غَرَضٌ صَحِيحٌ فِي كَثْرَةِ الْأَكْلِ ، بَلَّغَ بَقَايَا يَدِهِ عَلَى الصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ
وَالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ فَهُوَ ذَلِكَ

(فصل في بداية السبق وقدره وترتيبه)

كَانَ أَسْتَاذُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانَ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقِفُ (١) بَدَأَةَ
السَّبْقِ عَلَى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ، وَكَانَ يَرَوِي فِي ذَلِكَ حَدِيثًا ، وَيَسْتَدِلُّ بِهِ وَيَقُولُ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ شَيْءٍ بُدِيَ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ إِلَّا
وَقَدِّمَ ، وَهَكَذَا كَانَ يَفْعَلُ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَ يَرَوِي هَذَا

(١) يَقِفُ : يَحْضُرُ وَيُحْضِرُ .

الْحَدِيثَ عَنْ أَسَاطِدِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْأَجَلِ قَوْلِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّشِيدِ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَصَحَّحْتُ مِنْ أَتَى بِهِ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا يُونُسَ الْمَعْدَانِيَّ رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى كَانَ يَقِفُ كُلَّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ عَلَى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ، وَهَذَا
لِأَنَّ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ يَوْمٌ خُلِقَ فِيهِ النُّورُ ، وَهُوَ يَوْمٌ يَحْصِي فِي حَقِّ الْكُفَّارِ
فَيَكُونُ مَبَارَكًا لِلزُّمَيْنِ (١)

وَأَمَّا قَدْرُ السَّبْقِ فِي الْإِتِّدَاءِ ، فَقَدْ كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَحْكِي
عَنِ الشَّيْخِ الْقَاضِي الْإِمَامِ عُمَرَ بْنِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ الزُّرْعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
أَنَّهُ قَالَ : قَالَ مَشَايِخُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَدْرُ السَّبْقِ لِلْبَيْتِيِّ
قَدْرَ مَا يُمْكِنُ حَبْطُهُ بِالْإِعَادَةِ مَرَّتَيْنِ بِالرَّفْقِ ، وَزَيْدُ كُلِّ يَوْمٍ كَلِمَةً حَتَّى إِذَا
وَلَّى حَالَ السَّبْقِ وَكَثُرَ يُمْكِنُ حَبْطُهُ بِالْإِعَادَةِ مَرَّتَيْنِ ، وَزَيْدُ بِالرَّفْقِ وَالتَّوْبِخِ
فَأَمَّا إِذَا طَالَ السَّبْقُ فِي الْإِتِّدَاءِ (٢) وَاحْتَاجَ إِلَى الْإِعَادَةِ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، فَهُوَ

(١) الحق أن الأيام كلها تستوى عند الله وأن التفاؤل أو التشاؤم يمتنع
الأيام أو الساعات ليس من الدين في شيء .

(٢) فأما إذا طَالَ السَّبْقُ فِي الْإِتِّدَاءِ ، يَنْبَغِي أَنْ طَوَّلَ الْإِسْتِغْنَاءَ لَا يَنْبَغِي أَنْ

فِي الْإِتِّهَامِ أَيْضًا يَكُونُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَتَأَذَّنُ ذَلِكَ ، وَلَا يَتْرُكُ تِلْكَ الْعَادَةَ إِلَّا
بِجَهْدٍ كَثِيرٍ ، وَقَدْ قِيلَ : السَّبْقُ حَرْفٌ وَالتَّكْرَارُ أَلْفٌ (١) وَيَنْبَغِي أَنْ يَنْبَغِي
بَيْتِي يَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى فَهْمِهِ ، وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَسْتَاذُ شَرْفُ الدِّينِ
الْمَقْبِلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : الصَّوَابُ عِنْدِي فِي هَذَا مَا فَضَّلُهُ مَشَايِخُنَا
رَحِمَهُمُ اللَّهُ فَأَنَّهُمْ كَانُوا يَخْتَارُونَ لِلْبَيْتِيِّ صَفَرَاتِ الْمَبْسُوطِ (٢) ، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ
إِلَى الْفَهْمِ وَالضَّبْطِ ، وَأَبْعَدُ عَنِ الْمَلَالَةِ وَأَكْثَرُ وَقُوعًا بَيْنَ النَّاسِ ، وَيَنْبَغِي
أَنْ يُعْلَقَ السَّبْقُ بِدَوْنِ الضَّبْطِ (٣) وَالْإِعَادَةُ كَثِيرًا ، فَإِنَّهُ نَافِعٌ جِدًّا ، وَلَا يَكْتَفِي
الْمُسْتَعْمِلُ شَيْئًا لَا فَعْلَهُ ، فَإِنَّهُ يَوْرِدُ كَلَامَةُ الطَّبِيعِ ، وَبَذْبُ الْفِطْنَةِ وَيَضِيعُ
أَوْقَاتُهُ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْفَهْمِ عَنِ الْأَسَاطِدِ ، أَوْ بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ وَكَثْرَةِ

يزيد على أن يباد اليان والشرح مرتين في الموضوع الواحد، أما إذا زاد عن
ذلك فإنه يمتد طول الاستماع وتكرار الشرح فيبطل فهمه ويقلد عنه

(١) السبق حرف والتكرار ألف أي تلمس قليلا وكرر ما فطنه كثيرا،
وهنا مثل قولهم : قراءة كتاب واحد مرتين أنفع من قراءة كتابين مرة واحدة .

(٢) يعني الكتب الصغيرة التي تتضمن خلاصات الكتب المطولة .

(٣) تعلق السبق : كتابة خلاصة الدرس وهو ما يسمى الآن بالمخلص السبوري ،

التَّكْرَارِ ، فَإِنَّهُ إِذَا قَلَّ السَّبْقُ وَكَثُرَ التَّكْرَارُ وَالتَّأَمُّلُ يَذْكُرُ وَيُفْهِمُ ، فَقَدْ قِيلَ حِفْظُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ سَمَاعِ وَحَرْفَيْنِ ، وَفَهْمُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ حِفْظِ وَحَرْفَيْنِ^(١) وَإِذَا تَهَيَّأُوا فِي الْفَهْمِ وَلَمْ يَجْتَهِدُوا أَوْ مَرَّتَيْنِ يَتَأَذَّكَ ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا الْكَلَامَ الْبَسِيرَ ، فَيَنْبَغِي أَلَّا يَتَهَيَّأُوا فِي الْفَهْمِ بَلْ يَجْتَهِدُوا وَيَدْعُوا اللَّهَ تَعَالَى وَيَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُجِيبُ مِنْ دَعَا ، وَلَا يُجِيبُ مَنْ رَجَاهُ ، أَتَشَدَّدُ السَّخِيخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُ قَوْمَ الدِّينِ حَمَادُ بْنُ إِسْرَافِيلَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الصَّغَرِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِمْلَاءَ اللَّتَاخِي الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ السَّجَرِيِّ^(٢) فِي ذَلِكَ :

أَخَذْتُ الْعِلْمَ خِدْمَةَ الْمُسْتَفِيدِ وَأَدِمْتُ دَرْسَهُ بِمَقِيلِ حَيْدٍ وَإِذَا مَا حَفِظْتُ شَيْئًا أَعِدُّهُ ثُمَّ أَكْثَرُهُ غَايَةَ التَّأَكُّدِ ثُمَّ عَلَّقَهُ كَيْ تَعُودَ إِلَيْهِ وَلَوْلَا دَرْسُهُ عَلَى التَّأْيِيدِ وَإِذَا مَا أَمِنْتُ مِنْهُ فَوَاتَا فَأَتَدَبَّرُ بَعْدَهُ لَيْثِيَّ جَدِيدٍ^(٣)

(١) وقرن متى وقر بكر الواو: الخل الثقيل .

(٢) في بعض النسخ: السرخسي (٣) فأتدب: سارع، أي كلما توفقت من فهم شيء وحفظه وأمنت من نسيانه، بادء إلى قلم غيره .

مَعَ تَكَرُّارٍ مَا تَقَدَّمَ مِنْهُ أَعْتَدَ بِطَرَفٍ هَذَا الْمَزِيدِ ذَاكِرِ النَّاسِ بِالْمَعْلُومِ لَتَجِبَا لَا تَكُنْ مِنْ أُولَى النَّاسِ يَمِيدِ إِنَّ كُنْتَ الْمَعْلُومَ أَنْبَيْتَ حَتَّى لَا تَرَى غَيْرَ جَاهِلٍ وَبَلِيدٍ ثُمَّ أُلْجِئْتَ فِي الْقِيَامَةِ نَارًا وَتَلَهَّيْتَ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ^(١) وَلَا يَدَّ لَطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْمَذَاكِرَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ وَالْمُطْلُوحةِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِالْإِنْصَافِ وَالتَّائِي وَالتَّأَمُّلِ ، وَيَتَحَرَّزُ عَنِ الشَّغْبِ وَالنَّصَبِ ، فَإِنَّ الْمُنَاطَرَةَ وَالْمَذَاكِرَةَ مَشَاوِرَةً ، وَالْمُشَاوِرَةَ إِمَّا تَكُونُ لِاسْتِخْرَاجِ الصَّوَابِ وَذَلِكَ إِمَّا يَحْصُلُ بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّائِي وَالْإِنْصَافِ ، وَلَا يَحْصُلُ بِالنَّصَبِ وَالشَّغْبِ ، فَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ إِزَامُ الْحَقِصِ فَلَا يَحِلُّ الْمُنَاطَرَةُ ، وَإِمَّا يَحِلُّ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ . وَالتَّوْبَةُ وَالْحِلَّةُ فِيهَا لَا تَجُوزُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْحَقِصُ مُتَعَتًّا لَا طَالِبًا لِلْحَقِّ

(١) في مزين البيهقي إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « من علم علما فكنمه أجمع يوم القيامة لجام من نار » وقال صلى الله عليه وسلم « وما أرقاؤه أحدا علما إلا أخذ عليه الميثاق ألا يكتمه أحدا » .

وَكَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ يَحْيَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا تَوَجَّهَ عَلَيْهِ الْإِشْكَالُ وَلَمْ يَحْضَرْهُ
الْجَوَابُ يَقُولُ : مَا لَزِمَتْهُ لَازِمٌ ، وَأَنَا فِيهِ نَاطِلٌ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ .
وَقَائِدَةُ الْمُطَارَحَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ أَقْوَى مِنْ قَائِدَةِ تَجَرُّدِ التَّكْرَارِ ، لِأَنَّهَا تَتَكَرَّرُ
وَزِيَادَةُ قَدْرِ قِيلٍ : مُطَارَحَةٌ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ تَكَرُّرٍ شَهْرٍ . وَلَكِنْ إِذَا كَانَ
مَعَ مُنْصَفِ سَلِيمِ الطَّبِيعَةِ . وَإِيَّاكَ وَالْمَذَاكِرَةَ مَعَ مَمْنَعَتِ غَيْرِ مُسْتَعِيمِ الطَّبِيعِ
فَإِنَّ الطَّبِيعَةَ مُنْصَرِفَةً ، وَالْأَخْلَاقَ مُتَعَدِّبَةً ، وَالْجَوَابَ مُؤَثَّرَةً . وَفِي الشَّعْرِ
الَّذِي ذَكَرَهُ الْحَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَوَائِدَ كَثِيرَةً وَقَدْ قِيلَ :

الْعِلْمُ مِنْ شَرْطِهِ لِمَنْ خَدَمَهُ أَنْ يَحْمِلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ خَدَمَهُ

وَيُذِنُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ مُتَأَمِّلًا فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ فِي دَقَائِقِ (١)
الْعُلُومِ وَيَتَأَدَّى ذَلِكَ ، فَيَتَأَدَّى دَقَائِقَ التَّأَمُّلِ ، وَلِهَذَا قِيلَ : تَأَمَّلْ تَدْرِكُ
وَلَا يَدَّ مِنْ التَّأَمُّلِ قَبْلَ الْكَلَامِ حَتَّى يَكُونَ صَوَابًا ، فَإِنَّ الْكَلَامَ كَالسَّيْفِ

(١) دَقَائِقُ الْعُلُومِ جَمْعُ دَقِيقَةٍ : الْمَاءَةُ السَّبْعَةُ .

فَلَا يَدَّ مِنْ تَقْوِيهِ (١) بِالتَّأَمُّلِ قَبْلَ الرَّيِّ حَتَّى يَكُونَ مُصَيَّبًا ، قَالَ فِي أُصُولِ
الْفِقْهِ : هَذَا أَصْلٌ كَثِيرٌ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ الْفَقِيهِ الْمُنَاطِرِ بِالتَّأَمُّلِ .
وَقِيلَ : رَأْسُ الْعَمَلِ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّأَمُّلِ . قَالَ الْقَاتِلُ :
أَوْصِيكَ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ بِخَمْسَةٍ : إِنْ كُنْتَ لِلرَّوْحِيِّ الشَّافِعِيِّ مُطِيعًا
لَا تُتَفَنَّيَنَّ سَبَبَ الْكَلَامِ وَوَقْتَهُ وَالْكَيفَ وَالْكَانَ جَمِيعًا (٢)
وَيَكُونَ مُسْتَفِيدًا فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَالْأَوْقَاتِ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْخَاصِ .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْحِكْمَةُ صَالَةٌ الْمُؤْمِنِ ، أَيْنَمَا وَجَدَهَا
أَخَذَهَا ، وَقِيلَ : خُذْ مَا صَافَا وَدَعْ مَا كُدَّ . وَتَمَتَّعْتُ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْأَسَازَ
عَفَرَ الدِّينَ الْكَاشَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : كَانَتْ جَارِيَةً أَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُ
اللَّهُ أَمَانَةً عِنْدَ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهَا مُحَمَّدٌ : هَلْ تَحْفَظِينَ فِي هَذَا

(١) تَقْوِيَهُ : تَنْبِيْهُهُ وَتَصْوِيْهُهُ نَحْوَ الْهَدْيِ

(٢) الْكَيفُ : أَيُّ طَرِيقَةٍ لِقَاءُ الْكَلَامِ ؟ مِنْ خَفَضِ الصَّوْتِ وَرَفَعِهِ ، وَمِنْ
عَدْوِهِ وَلَهْفِهِ أَوْ شِدَّةِ وَعَفِ ، وَالْكَانُ : الْمَقْدَارُ مِنْ إِيجَازٍ أَوْ إِسْهَابٍ ، حَسَبِ
مَقْصَدِ الْحَالِ .

الْوَقْتُ مِنْ أَبِي يُوسُفَ فِي الْفَقْهِ شَيْئًا؟ قَالَتْ: لَا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُكْرَرُ
وَيَقُولُ سَهْمُ الدَّوْرِ (١) سَاقِطٌ. خَفِظَ ذَلِكَ مِنْهَا، وَكَانَتِ الْمَسْئَلَةُ مُشْكَلَةً
عَلَى مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَأَرْتَفَعَ إِشْكَالَهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ فَلَمَّا أَنَّ الْإِسْتِفَادَةَ
مُمَكِّنَةٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَلِهَذَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَ قِيلَ لَهُ: بِمِ
أَدْرَكَتِ الْعِلْمَ؟ قَالَ: مَا اسْتَكْفَيْتُ مِنَ الْإِسْتِفَادَةِ وَمَا بَخَلْتُ بِالْإِفَادَةِ.
قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: بِمِ أَدْرَكَتِ الْعِلْمَ؟ قَالَ: بِلِسَانِ
سُؤْلِ، وَقَلْبِ عَقُولٍ. وَإِنَّمَا سُمِّيَ طَالِبُ الْعِلْمِ: مَا تَقُولُ، لِكثْرَةِ مَا كَانُوا
يَقُولُونَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ: «مَا تَقُولُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ؟» وَإِنَّمَا تَفَقَّهَ
أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِكَثْرَةِ الْمُنَاطَرَةِ وَالْمَذَاكِرَةِ فِي ذَلِكَ حِينَ كَانَ
بَزَازًا (٢)، وَهَذَا يَعْلَمُ أَنَّ تَحْصِيلَ الْعِلْمِ وَالْفَقْهَ يَجْتَمِعُ مَعَ الْكُتُبِ وَكَانَ
أَبُو حَنِيفَةَ الْكَبِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَكْتَسِبُ وَيُكْرَرُ. فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ لِلطَّالِبِ الْعِلْمِ

(١) سهم الدور ساقط: أي السهم النازل يسقط ولا يجنب، وهو خاص
بمسألة فقهية مشهورة في الميراث
(٢) البزاز: يأتي الثياب والمنسوجات.

مِنَ الْكُتُبِ لَتَفَقَّهَ عَلَيْهِ وَغَيْرِمِ فَلْيَكْتَسِبْ وَيُكْرَرُ وَلَيْذًا كَرَوَلًا يَكْسَلُ
وَلَيْسَ لِصَاحِبِ الْبَدَنِ وَالْعَقْلِ عُنْدِي تَرْكُ الْعِلْمِ وَالتَّفَقُّهِ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ أَقْصَرُ
مِنْ أَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَمْ يَنْمُنْ ذَلِكَ مِنَ التَّفَقُّهِ لَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ
كَثِيرٌ فَتَمَّ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ الْمُتَصَرِّفِ فِي طَرِيقِ الْعِلْمِ. قِيلَ
لِلْعَالِمِ: بِمِ أَدْرَكَتِ الْعِلْمَ؟ قَالَ: بِأَبِ غَنِيٍّ، لِأَنَّهُ كَانَ يَصْطَنِعُ بِهِ (١) أَهْلَ
الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ فَإِنَّهُ سَبَبُ زِيَادَةِ الْعِلْمِ لِأَنَّهُ شُكِرَ عَلَى نِعْمَةِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ، وَهُوَ
سَبَبُ (٢) الزِّيَادَةِ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّمَا أَدْرَكَتِ الْعِلْمَ بِالْحَدِّ
وَالشُّكْرِ فَكَلِمًا فَعَمْتُ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ وَوَقَعْتُ عَلَى فَتَاهٍ وَحِكْمَةٍ فَكَتَبْتُ الْحَدِيثَ
تَعَالَى، فَازْدَادَ عَلَيَّ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِلطَّالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَشْتَغَلَ بِالشُّكْرِ بِالنَّاسِ
وَالْجَنَانِ وَالْأَزْدَادِ وَالْمَالِ، وَبَرَى الْفَقْهَ وَالْعِلْمَ وَالتَّوْفِيقَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
وَيَطْلُبُ الْهَدَايَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالذِّعَاءِ مِنْهُ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى هَادٍ مَنِ

(١) يصطنع به أمل العلم: يبرم ويعين إليهم
(٢) وهو سبب الزيادة: أي والشكر هو سبب الزيادة لقوله تعالى: «لئن
شكرتم لازيدنكم».

اسْتَدَّاهُ ، فَأَمَلَ الْحَقَّ وَفَمَ أَهْلُ السَّنَةِ وَاجْتَاَعَهُ طَلَبُوا الْحَقَّ مِنْ أَفْهٍ تَعَالَى ،
الْحَقَّ الْمُبِينِ الْمَادَى الْقَاصِمِ ، فَهَدَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى وَعَصَمَهُمْ عَنِ الضَّلَالَةِ ، وَأَمَلَ
الضَّلَالَةَ أَعْجَبُوا ^(١) بِرَأْسِهِمْ وَعَقَلَهُمْ وَطَلَبُوا الْحَقَّ مِنَ الْمَخْلُوقِ الْمَاجِزِ ، وَهُوَ
الْعَقْلُ ، لِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يَذْكُرُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ ، كَالْبَصَرِ لَا يَبْصُرُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ
طَلَبُوا ، وَتَجَزَّوْا وَضَلُّوا وَاضْطَلُّوا ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : مَنْ عَرَفَ
نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ ، فَأَذَا عَرَفَ عَجَزَ نَفْسِهِ عَرَفَ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ .
وَلَا يَتِمُّدُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ بَلْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَطْلُبُ الْحَقَّ مِنْهُ ،
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبٌ ^(٢) وَيَهْدِيهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَمَنْ كَانَ
لَهُ مَالٌ فَلَا يَخْلُ ، وَيَبْنِي أَنْ يَتَوَكَّلَ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْبُخْلِ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : أَيُّ دَلَمٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ ، وَكَانَ أَبُو الشَّيْخِ الْإِمَامُ الْأَجْلُ
تَحْمُسُ الْأَثْنَةِ الْخَلَارِائِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَتِيرًا ، يَبِيعُ الْخُلُقَاءَ ، وَكَانَ يُعْطِي

(١) أَعْجَبُوا بِرَأْسِهِمْ : فَرَحُوا بِهِ وَسُرُّوا مِنْهُ .

(٢) حَسْبٌ : كَافِيَةٌ ، وَهَذَا أَتَّيَسَّرُ مِنَ الْقُرْآنِ .

الْفَقَهَاءَ مِنَ الْخُلُقَاءِ وَغَوْلُ : أَدْعُو لِأَيِّ أَفْهٍ كَبِيرَةٍ جُودِهِ وَأَعْنَادِهِ وَتَضَرُّعِهِ
نَالَ أَنَّهُ مَانَالٌ ، وَيَتَفَرَّى بِالْمَالِ الْكُتْبِ ، وَيَسْتَكْتَبُ فَيَكُونُ عَوَا عَلَى
التَّعْلُمِ وَالْفَقْهِ ، وَقَدْ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَالًا كَثِيرًا ، حَتَّى
كَانَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوُكَلَاءِ عَلَى مَالِهِ ، فَانْفَقَهُ كُلَّهُ فِي الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ
قُرْبُ نَفِيسٍ ، فَرَأَاهُ أَبُو يُونُسَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَوْبٍ خَلْقِي ، فَارْسَلَ
إِلَيْهِ نِيَابًا نَفِيسَةً ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا وَقَالَ : عَجَلَ لَكُمْ وَأَجَلَ لَنَا

وَلَمْ يَلْمِ إِتْمَامَ يَقْبَلَهَا وَإِنْ كَانَ قَبُولُ الْهَدِيَّةِ سُنَّةً ، لِمَا رَأَى أَنَّ فِي ذَلِكَ
مَنْفَعَةً لِنَفْسِهِ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : وَلَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَذِلَّ نَفْسَهُ
وَحِكْمِي أَنَّ الشَّيْخَ غَيْرَ الْإِسْلَامِ الْأَرَسَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ جَمَعَ قُشُورَ الْبَطْنِ
الْمُلَافَةِ فِي مَكَانٍ خَالِفَتْهَا وَاتَّكَلَهَا فَرَأَتْهُ جَارِيَةً ، فَأَخْبَرَتْ بِذَلِكَ عَمَلًا ،
فَاتَّخَذَ لَهُ دَعْوَةً وَدَعَا إِلَيْهَا ، فَلَمْ يَقْبَلْ لِمَذَا ^(١) . وَهَكَذَا يَبْنِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ
أَنْ يَكُونَ دَائِمَةً عَالِيَةً لَا يَطْمَعُ فِي أُمُورِ النَّاسِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) اتَّخَذَ لَهُ دَعْوَةً : أَيُّ أَعَدَ لَهُ طَعَامًا . لِهَذَا : أَيُّ ثَلَا يَذِلَّ نَفْسَهُ .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا بَاكَ وَالطَّمَعُ فَإِنَّهُ قَرَّ حَاضِرُهُ ^(١)

وَلَا يَتَخَلَّ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ ؛ بَلْ يَنْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ ؛ وَقَالَ
الَّذِي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «النَّاسُ مِنْ خَوْفِ الْفَقْرِ فِي قَرَرِهِ» ^(٢) ، وَكَانُوا
فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ يَتَعَلَّمُونَ الْحِرَّةَ ثُمَّ يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ حَتَّى لَا يَطْمَعُوا فِي أَمْوَالِ
النَّاسِ ؛ وَفِي الْحِكْمَةِ : مَنْ اسْتَقْنَى بِمَالِ النَّاسِ انْقَضَتْ ، وَالْعَالَمُ إِنْ كَانَ طَمَاحًا
لَمْ تَبْقَ لَهُ حُرْمَةُ الْعِلْمِ ، وَلَا يَقُولُ بِالْحَقِّ ، وَلِهَذَا كَانَ يَتَوَدَّصِحَابُ الشَّرْعِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُ وَيَقُولُ : «اعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ طَمَعٍ يَدْفِقُ إِلَى طَمَعٍ» ^(٣) ، وَيَبْنِي
لِلْمُؤْمِنِ الْأَيْرُجُو إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا يَخَافُ إِلَّا مِنْهُ تَعَالَى ، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ
بِمُجَاوَزَةِ حَدِّ الشَّرْعِ وَعَدَمِهَا ، فَمَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى خَوْفًا مِنَ الْخَلْقِ قَدْ

(١) إياك والطمع الخ : يعني أن المرء إنما يطمع لخرقه من قهر مترفع
والطمع قهر حاضره فهو يلتجأ إلى الفقر خوفاً من الفقر كالمتجبر من
الرمضاء بالنار

(٢) الناس .. الخ : تنسب هذه الحكمة إلى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه

(٣) الطمع بكسر الطاء وفتح الباء : الدنس والبس .

خَافَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِذَا لَمْ يَبْصُرْ اللَّهَ تَعَالَى لِحُورِ الْخَلْقِ وَرَأَيْتُ حُدُودَ
الشَّرْعِ ، فَلَمْ يَخَفْ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى بَلْ خَافَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَكَذَا فِي جَانِبِ الرَّجَاءِ ^(١)
وَيَبْنِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَمُدَّ وَيَقْدِرَ لِنَفْسِهِ تَقْدِيرًا فِي التَّكْرَارِ ، فَإِنَّهُ
لَا يَسْتَقِرُّ قَلْبُهُ حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ الْمَبْلَغَ

وَيَبْنِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَكْرُرَ سَبْقَ الْأَمْسِ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، وَسَبْقَ الْيَوْمِ
الَّذِي قَبْلَ الْأَمْسِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، وَالسَّبْقُ الَّذِي قَبْلَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَالَّذِي
قَبْلَهُ اثْنَيْنِ ، وَالَّذِي قَبْلَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَهَذَا ادْعَى إِلَى الْحِفْظِ ، وَيَبْنِي
أَلَّا يَتَوَدَّ الْمُخَافَةَ فِي التَّكْرَارِ لِأَنَّ الدَّرْسَ وَالتَّكْرَارَ يَبْنِي أَنْ يَكُونَا
بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ ، وَلَا يَجْهَرُ جَهْرًا يُجْهِدُ نَفْسَهُ كَيْلًا يَنْفَعَهُ عَنِ التَّكْرَارِ ، فَخَيْرُ
الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا

حِكْمِي إِنَّ أَبَا يُونُسَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ يَذْكُرُ الْفَقْرَ مَعَ الْفَقْهَاءِ بِقُوَّةٍ
وَنَشَاطٍ ، وَكَانَ صَبْرُهُ عِنْدَهُ يَتَجَبَّبُ مِنْ أَمْرِهِ وَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ جَائِعٌ

(١) بنى إذا لم يبصر الله رجاء مخلوق فهو في الواقع لم يرج غير الله .

مُذْخِةً أَيَّامٌ ، وَمَعَ ذَلِكَ بَاقِلٌ بِقُوَّةٍ وَشَاطِطٍ . وَيَبْنِي الْأَيْكُونَ لِعَالِبِ
 الْعِلْمِ قَرَّةً (١) فَإِنَّا آخُوهُ ، وَكَانَ أَسْنَدَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بَرُّعَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : إِنَّمَا هُتُّ شُرَكَائِي بِأَنِّي لَمْ تَقَعْ لِي الْفِتْرَةُ فِي التَّحْصِيلِ .
 وَكَانَ يُحْكَمُ عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ الْأَسِيحَانِيِّ أَنَّهُ وَقَعَ لَهُ فِي زَمَانٍ تَحْصِيلُهُ
 وَتَمْلِيهِ فِتْرَةٌ أَتَتْهُ عَشْرَةَ سَنَةٍ بِإِعْلَابِ الْمَلِكِ ، فَخَرَجَ مَعَ شَرِيكِهِ فِي الْمُنَاطَرَةِ
 إِلَى حَيْثُ يُمَكِّنُهُمَا الْإِسْتِمْرَارُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَغَلَّا يَدْرُسَانِهِ مَعًا أَتَتْهُ
 عَشْرَةَ سَنَةٍ ، فَصَلَّ شَرِيكُهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ لِلْفَائِزِينَ ، وَكَانَ هُوَ شَافِعِيًّا .
 وَكَانَ أَسْنَدَنَا الشَّيْخُ الْقَاضِي الْإِمَامُ نَحْرُ الْإِسْلَامِ قَاضِيخَانٌ يَقُولُ :
 يَبْنِي لِلتَّحْقِيقِ أَنْ يَحْفَظَ كِتَابًا وَاحِدًا مِنْ كُتُبِ الْفِقْهِ دَائِمًا لِيَتَبَرَّرَ بِهِ
 ذَلِكَ حِفْظُ مَا يَسْمَعُ مِنَ الْفِقْهِ

(١) الفِتْرَةُ: العطلة ، ومن أجل هذا كان واجبا على طلاب العلم ألا يتركوا
 المذاكرة أثناء عطلة الصيف .

(فصل في التوكل)

ثُمَّ لَا بَدَّ لِعَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ التَّوَكُّلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَلَا يَهْتَمُّ لِأَمْرِ الرِّزْقِ
 وَلَا يَشْغُلُ قَلْبُهُ بِذَلِكَ . رَوَى أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ
 الزَّيْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ تَفَقَّهَ
 فِي دِينِ اللَّهِ كَفَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِمَّا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، فَإِنْ مَنِ اشْتَمَلَ
 قَلْبُهُ بِأَمْرِ الرِّزْقِ مِنَ الْقَوَاتِ وَالْكُسُوفِ ، قَلْبًا يَتَفَرَّغُ لِتَحْصِيلِ مَكَارِمِ
 الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِي الْأُمُورِ . قِيلَ :

دَعِ الْمَكَارِمَ لِأَتَرَحَّصِلَ لِبَيْتِي . وَأَقْعِدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَامِرُ الْكَامِي (١)
 قَالَ رَجُلٌ لِمُصَوِّرِ الْحَلَّاجِ : أَوْجِئِي أَقَالَ : هِيَ نَفْسُكَ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا
 شَغَلَتْكَ . فَيَبْنِي لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَشْغُلَ نَفْسَهُ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ حَتَّى لَا تَشْغَلَ

(١) يسخر الشاعر من تخالطه بهذا البيت وبمغفئه لأنه يقول له: إنك لا تستطيع
 الجري في مجال المكارم والمجاهدة، لأن همك محصور في السعي وراء الطعام والكسوة
 ويقعد المصنف باستشهاده بهذا البيت أن يؤيد ما يقوله من أن من اشتغل
 قلبه بتحصيل الرزق فلا يفكر في مكارم الأخلاق ومعالي الأمور .

يَهِيمَا ، وَلَا يَهَيِّمُ الْعَاقِلُ لِأَمْرِ الدُّنْيَا لَآنَ الْمَمِّ وَالْحَرَنِ لَا يَرُدُّ الْمَصِيْبَةَ وَلَا يَنْفَعُ
بَلْ يَضُرُّ بِالْقَلْبِ وَالْعَقْلِ وَالْبَدَنِ ، وَيَحُلُّ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ ، وَيَهَيِّمُ لِأَمْرِ الْآخِرَةِ
لَآنَهُ يَنْفَعُ . وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا يَكْفُرُهَا إِلَّا الْمَمِّ
الْمَبِيْئَةُ ، فَأَلْمَرَادُ مِنْهُ قُدُومُ لَا يَحُلُّ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ وَلَا يَسْتَلُ الْقَلْبَ شُغْلًا
يَحُلُّ بِإِحْضَارِ الْقَلْبِ فِي الصَّلَاةِ . فَإِنَّ ذَلِكَ الْقَدْرَ مِنَ الْمَمِّ وَالْقَصْدَ مِنْ أَعْمَالِ
الْآخِرَةِ ، وَلَا بَدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنْ تَقْلِيلِ الْعَلَائِقِ الدُّنْيَوِيَّةِ بِقَدْرِ الْوَسْعِ .
وَلِهَذَا اخْتَارُوا الْعَزَمَةَ . وَلَا بَدَّ مِنْ تَحْمِيلِ النَّصَبِ وَالْمَشَقَّةِ فِي سَفَرِ التَّعَلُّمِ كَمَا
قَالَ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ فِي سَفَرِ التَّعَلُّمِ ، وَلَمْ يُنْقَلْ
عَنْ ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَسْفَارِ : لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا لِيَعْلَمَ أَنَّ
سَفَرَ الْعِلْمِ لَا يَحْتَلُو مِنَ النَّصَبِ ، لِأَنَّ الْعِلْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ
عِنْدَ أَكْثَرِ الْمَلِكَاءِ ، وَالْأَجْرُ عَلَى قَدْرِ النَّصَبِ وَالنَّصَبِ . فَمَنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ
وَجَدَ لَذَّةَ تَفَرُّقٍ سَائِرَ لَذَاتِ الدُّنْيَا ، وَلِهَذَا كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ إِذَا سَهَرَ
الْبَالِيَّ وَأَحْلَتْ لَهُ الْمَشْكَلَاتُ يَقُولُ : إِنَّ أَبْنَاءَ الْمُلُوكِ مِنْ هَذِهِ اللَّذَاتِ ؟

وَيَهَيِّمُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ إِلَّا يَشْتَغِلَ بِشَيْءٍ آخَرَ غَيْرِ الْعِلْمِ ، وَلَا يَمْرُضَ عَنِ
الْفَقْرِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّ صِنَاعَتَنَا هَذِهِ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ
فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتْرُكَ عَلَيْنَا هَذَا سَاعَةً فَلْيَتْرِكْهُ السَّاعَةَ (١)

وَدَخَلَ قَبِيْهِ عَلَى أَبِي يُوسُفَ يَعُوْدُهُ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ
فَقَالَ أَبُو يُوسُفَ لَهُ : رَمَى الْجَارِ رَاكِبًا أَفْضَلَ أَمْ رَاجِلًا ؟ فَلَمْ يَعْزِفْ
الْجَوَابَ ، فَأَجَابَ بِنَفْسِهِ . وَهَكَذَا يَهَيِّمُ لِقَبِيْهِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِهِ فِي جَمِيعِ
أَوْقَاتِهِ لِحَيْثُ يَجِدُ لَذَّةَ عَظِيْبَةٍ فِي ذَلِكَ وَقِيلَ : رَأَى مُحَمَّدٌ فِي الْمَنَامِ بَدَنَ وَقَاتِهِ
فَقِيلَ لَهُ كَيْفَ كُنْتُ فِي حَالِ التَّرَجُّعِ ؟ فَقَالَ كُنْتُ مُتَمَلِّمًا فِي مَسْئَلَةٍ مِنْ
مَسَائِلِ الْمَكَاتِبِ (٢) فَلَمْ أَشْرَعْ بِخُرُوجِ رُوحِي ، وَقِيلَ إِنَّهُ قَالَ فِي آخِرِ

- (١) فليتركه الساعة: يريد أن من شرع في تعلم الفقه وهو ينوي أن يترك الاشتغال به في وقت من الأوقات كانت إرادته في تعلم الفقه ضعيفة وتصميمه مزعزعاً؛ ومن شرع في عمل شيء وهو ضعيف الإرادة مزعزع التصميم لا يجره ولا يبلغ منه شيئاً، لا سيما إذا كان عظيم الشأن جليل القدر كعلم الفقه، وإذن فنبهني له أن يترك الاشتغال به لأنه حينئذ غير منتج وبعث باطل
- (٢) محمد: هو محمد بن الحسن. والمكاتيب بصيغة اسم المفعول: هو العبد

عمره : سَنَنْتَنِي مَسَائِلَ الْمَكَاتِبِ عَنِ الْإِسْتِغْنَادِ لِهَذَا الْيَوْمِ ، وَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ تَوَاضَعَا .

(فصل في وقت التحصيل)

قيل : وَقْتُ التَّعَلُّمِ مِنَ الْمُهْدِ إِلَى الْقَدِّ ، وَأَفْضَلُ الْأَوْقَاتِ شَرْخُ الشَّبَابِ (١) وَوَقْتُ السَّحْرِ ، وَمَا بَيْنَ الشَّامِ

وَبَيْنَ لَطَائِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَسْتَفْرِقَ جَمِيعَ أَوْقَاتِهِ ، فَإِذَا مَلَ مِنْ عِلْمٍ يَسْتَعِزُّ بِعِلْمٍ آخَرَ ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إِذَا مَلَ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ يَقُولُ : هَاتُوا دِيوانَ الشُّعْرَاءِ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ لَا يَتِمُّ اللَّيْلَ وَكَانَ يَضَعُ عِنْدَهُ الدَّقَاقِرَ ، وَكَانَ إِذَا مَلَ مِنْ نَوْعٍ يَنْظُرُ فِي نَوْعٍ آخَرَ .

(فصل في الشفقة والنصيحة)

يَبْنِي أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ الْعِلْمِ مُشْفِقًا نَاصِحًا غَيْرَ سَائِدٍ قَالِحٍ بَصُرَ

الذي تعاهد مع سيده أن يعتقه نظير مبلغ من المال مؤجل يصير حراً بعد سداده لسيده

(١) شرح الشباب : أوله ، والسحر : قيل الصبح ، والشامان : المغرب والشاء .

وَلَا يَنْفَعُ . وَكَانَ اسْتِغْنَادًا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بَرَهَانَ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : إِنَّ ابْنَ الْمَعْلَمِ يَكُونُ عَالِمًا ، لِأَنَّ الْمَعْلَمَ يَرِيدُ أَنْ تَكُونَ تَلَامِيذُهُ عَلَيْهِ ، فَيَبْرِكُ اعْتِقَادُهُ وَشَفَقَتُهُ يَكُونُ ابْنُهُ عَالِمًا ، وَكَانَ يُحْكِي أَنَّ الصِّدْرَ الْأَجَلَ بَرَهَانَ الْأَثَمَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ جَمَلَ وَقْتُ السَّبْقِ لِابْنِهِ الصِّدْرِ الشَّهِيدِ حُسَامِ الدِّينِ وَالصِّدْرِ السَّعِيدِ تَاجِ الدِّينِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى وَقْتُ الضُّحَى الْكُبْرَى ، بَعْدَ جَمِيعِ الْأَسْبَاقِ وَكَانَا يَقُولَانِ : طَبِيعَتَانِ تَكِلُ وَتَمَلُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ . فَقَالَ أَبُوهُمَا إِنَّ التَّرْبِيَةَ وَأَوْلَادَ الْكِبَرَاءِ يَأْتُونَنِي مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ أَقْدِمَ أَسْبَاقَهُمْ . فَيَبْرِكُ شَفَقَتُهُ تَفَوُّقُ ابْنَاءِهِ عَلَى أَكْثَرِ فُقَهَائِهِ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي ذَلِكَ الْمَصْرِ

وَيَبْنِي الْأَيَّازِعَ أَحَدًا وَلَا يُخَاصِمُهُ لِأَنَّهُ يَضِيعُ أَوْقَاتُهُ . قِيلَ : الْحَسَنُ سَيَجْزِي بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءُ سَيَكْفِيهِ مَسَاوِيهِ . أَتَشَدُّنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ رُكْنُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمَعْرُوفُ بِإِمَامِ غَوَاہِرِ زَادَةِ الْمَفْتَى رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ أَتَشَدُّنِي سُلْطَانُ الشَّرِيعَةِ يَوْسُفُ الْهَمْدَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَلَا تَجْزِ إِنْسَانًا عَلَى سُوءِهِ فَلَهُ سَيِّئُهُ مِثْلُ مَا بِهِ وَمَا هُوَ قَاعُهُ
وَقِيلَ : مَنْ لَرَدَّ أَنْ يَرْغَمَ أَنْفَ عَدُوِّهِ فَيُكَرَّرَ هَذَا الشَّعْرُ . وَأَنْشَدَتْ :
إِذَا شِئْتُ أَنْ تَلْقَى عَدُوَّكَ رَاغِبًا وَتَقْتُلُهُ عَمَّا وَتَحْرِقُهُ هَمًّا
فَرَمَ لِلْمَلَأِ وَأَزْدَدَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّهُ مِنْ أَزْدَادِ عَلَا زَادَ حَاسِدُهُ عَمَّا (١)

وَعَلَيْكَ أَنْ تَتَنَبَّلَ بِمَصَالِحِ نَفْسِكَ لِأَقْبَرِ عَدُوِّكَ . فَإِذَا قُتِ بِمَصَالِحِ
نَفْسِكَ تَضَمَّنَ ذَلِكَ قَهْرَ عَدُوِّكَ ، وَإِيَّاكَ وَالْمُعَادَةَ فَإِنَّهَا تَضَعُكَ وَتَضِيعُ
أَوْقَاتَكَ ، وَعَلَيْكَ بِالْحَمَلِ ، لِأَسْبَابٍ مِنَ السُّفَاهِ . قَالَ عِيْسَى بْنُ مَرْيَمَ
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ : احْتَمِلُوا مِنَ السُّفَاهِ وَاحِدَةً كَي تَرْجِعُوا عَشْرًا
وَأَنْشَدَتْ لِبَعْضِهِمْ :

بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ فَلَمْ أَرِ غَيْرَ خُتَالٍ وَقَالَ (٢)
وَلَمْ أَرِ فِي الْخُطُوبِ أَشَدَّ وَقَمًا وَأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَةِ الرِّجَالِ

(١) رم للملأ : أطلب الملا ، فعل أمر من رام الشيء : طلبه .

(٢) ختال : مخادع . قال : كاره ، من فلاة بقله إذا كرهه .

وَذَفَعْتُ سَرَارَةَ الْأَشْبَاهِ طُرَا قَسَا شَيْءُهُ أَمْرٌ مِنَ السُّؤَالِ
وَإِيَّاكَ أَنْ تَقْتُلَ شَرًّا بِالْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ مَنَّا الْعُدَاةُ وَلَا يَحِلُّ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : وَظَنُّوا بِالْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا وَإِنَّمَا يَنْشَأُ ذَلِكَ مِنْ
خُبْرِ النَّبِيِّ وَسُوءِ السَّرِيرَةِ كَمَا قَالَ أَبُو الطَّبِيبِ :

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظَنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَتَّادُهُ مِنْ تَوْحُمِ (١)
وَعَادَى عُجْبِهِ بِقَوْلِ عُنَائِهِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّكِّ مُظْلِمِ (٢)
وَأَنْشَدَتْ لِبَعْضِهِمْ :

تَتَّعَ عَنِ الْقَبِيحِ وَلَا تَرُدُّهُ وَمَنْ أَوَّلَيْتُ حَسَنًا فَرَدَّهُ
سَكَنَتْنِي مِنْ عَدُوِّكَ كُلِّ كَيْدٍ إِذَا كَادَ الْعَدُوُّ فَلَا تُكِيدُهُ
وَأَنْشَدَتْ لِلشَّيْخِ الْعَمِيدِ أَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

ذُو الْقَمَلِ لَا يَسْلُمُ مِنْ جَاهِلٍ يَوْمُهُ ظُلْمًا وَإِعْنَاتًا (٣)

(١) يتاده : يتابعه ويرد على ذهنه من خواطر وأوهام

(٢) العداة : بعض الدين جمع العادي : وهو العدو

(٣) الإعنات : الإخراج من أعنته إذا أخرجته وأوقفه فيها لا يستطيع

المخرج منه .

فَلْيَخْتَرْ السَّلْمَ عَلَى حَرِيهٖ وَلْيَلْزِمِ الْإِنصَاتَ إِنْ صَاحَا^(١)

(فصل في الاستفادة)

وَيَبْنِي أَنْ يَكُونَ مَالِبًا لِلْعِلْمِ مُسْتَفِيدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ الْفَضْلُ
وَطَرِيقُ الْإِسْتِفَادَةِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَعْجَرَةٌ حَتَّى يَكْتَسِبَ
مَا يَسْمَعُ مِنَ الْقَوَائِدِ فَقَدْ قِيلَ: مَنْ حَفِظَ قُرْآنًا وَمَنْ كَتَبَ شَيْئًا قَرَأَ^(٢)
وَقِيلَ: الْعِلْمُ مَا يُؤْخَذُ مِنْ أَنْوَاءِ الرِّجَالِ لِأَنَّهُمْ يَحْفَظُونَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُونَ
وَيَقُولُونَ أَحْسَنَ مَا يَحْفَظُونَ وَتَمَعَّتِ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَدِيبُ الْأَسَازُ زَيْنُ
الْإِسْلَامِ الْمَعْرُوفُ بِالْأَدِيبِ الْخُتَلَارِيُّ يَقُولُ: قَالَ هَلَالُ بْنُ يَسَارٍ: رَأَيْتُ
لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
أَعَدِلْ مَا قُلْتَ لَمْ . فَقَالَ لِي: هَلْ مَعَكَ مَعْجَرَةٌ ؟ فَقُلْتُ مَا مَعِيَ مَعْجَرَةٌ . فَقَالَ

(١) الإنصات: الإصغاء، ويريد به السكوت، إن صَاحَا: أي إن أحدث صوتًا وصاح، فالآلاف فيه الإيضاح

(٢) من حفظ قرآن: أي من حفظ شيئًا قرآنًا من ما حفظه، ومن كتب شيئًا استقر وسكن عنده ما كتبه .

بِاعْلَافٍ ! لَا تَفَارِقِ الْمُحَبَّرَةَ فَإِنَّ الْحَيَرَ فِيهَا وَفِي أَعْلَاهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَوَصَّى
الْعَدُوَّ الشَّيْءَ حَسَامُ الدِّينِ ابْنَهُ تَحَسُّسَ الدِّينِ أَنْ يَحْفَظَ كُلَّ يَوْمٍ شَيْئًا يَسِيرًا
مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، فَإِنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ يَكُونُ كَثِيرًا ، وَاشْتَرَى عَصَامُ بْنُ يُوسُفَ
قَلَمًا بِدِينَارٍ لِيَكْتُبَ مَا مَعَهُ فِي الْحَالِ ، فَالْعَمْرُ قَصِيرٌ ، وَالْعِلْمُ كَثِيرٌ ،
فَيَنْبَغِي أَلَّا يَضِيعَ الْأَرْقَاتُ وَالسَّاعَاتُ ، وَيَنْتَهِي اللَّيَالِ وَالْحُلُوتِ . عَنْ أَبِي
أَبْنِ مُعَاذٍ الرَّازِيِّ أَنَّهُ قَالَ: اللَّيْلُ طَوِيلٌ فَلَا تُقْصِرْهُ بِمَنَامِكَ ، وَالتَّهَارُ مُعْنَى
فَلَا تُكْذِرْهُ بِأَتَامِكَ . وَيَبْنِي أَنْ يَنْتَهِيَ الشُّبُوحُ وَيَسْتَفِيدَ مِنْهُمْ وَلَيْسَ كُلُّ
مَاقَاتٍ يَدْرُكُ ، كَمَا قَالَ أَسَازُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : كَمْ مِنْ شَيْخٍ
كَبِيرٍ أَدْرَكَهُ وَمَا اسْتَخْبَرَهُ ، وَأَقُولُ عَلَى هَذَا الْقَوْتِ مُنْشَأً هَذَا الْبَيْتَ :
لَمْ يَنْ عَلَى قَوْتِ التَّلَاقِ لَمْ يَنْ مَ كُلِّ مَاقَاتٍ وَجَنَّى بَلَقِي^(١)
قَالَ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ : إِذَا كُنْتَ فِي أَمْرٍ فَكُنْ فِيهِ^(٢) . وَكَفَى
بِالْإِعْرَاضِ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ خِزْيًا وَخَسَارًا ، وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ لَيْلٍ وَتَهَارًا ،

(١) بلقي: يوجد (٢) يعني إذا كنت في طلب أمر فخرغه واجتهد في تحصيله .
(٣-٥) نعيم

وَلَا يَدُّ لَطَالِبُ الْعِلْمِ مِنْ تَحْمِيلِ الْمَشَقَّةِ وَالْخَذَلِ فِي حَلَبِ الْعِلْمِ، وَالتَّحْمِيلُ مَذْمُومٌ إِلَّا فِي حَلَبِ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ لَا يَدُّ لِمَنْ التَّحْمِيلُ لِلْإِسْتِزَادِ وَالشُّرْكَاءِ وَغَيْرِهِمْ لِلْإِسْتِفَادَةِ مِنْهُمْ، قِيلَ: الْعِلْمُ عَنِ الْإِذْلَالِ فِيهِ، وَلَا يَذُلُّكَ إِلَّا بِذِلِّ لَاعِزِّ فِيهِ، وَقَالَ الْقَائِلُ:
أَرَى لَكَ نَفْسًا تَشْتَبِي أَنْ تَبْزَهَا فَلَسْتَ تَمَالُ الْعِزَّ حَتَّى تُغْلَبَا

(فصل في الورع في حالة العلم)

رَوَى بَعْضُهُمْ حَدِيثًا فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ لَمْ يَتَوَرَّعْ فِي تَعَلُّهِ أَتْلَاءَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَحَدٍ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: إِمَّا أَنْ يَمِيتَ فِي شَبَابِهِ أَوْ يُوقِعَهُ فِي الرِّسَالَةِ (١) أَوْ يَبْتَلِيَهُ بِخِدْمَةِ السُّلْطَانِ، فَهَمَّا كَانَ طَالِبَ الْعِلْمِ أَوْعَ، كَانَ عَلَيْهِ انْتِفَاعٌ، وَالتَّعَلُّمُ لَهُ أَيْسَرُ، وَفَوَائِدُهُ أَكْثَرُ. وَمِنَ الْوَرَعِ الْكَامِلِ أَنْ يَحْتَرِزَ عَنِ الشَّيْخِ وَكَثْرَةِ النَّوْمِ، وَكَثْرَةِ الْكَلَامِ نَيْلًا لَا يَنْفَعُ، وَأَنْ يَحْتَرِزَ عَنْ أَكْلِ طَعَامِ السُّوقِ إِنْ أُمِكَ أَنْ لَا يَنْفَعُ

(١) الراسخ جمع راسخ: وهو الريف والقرى، والظاهر أن هذا الحديث موضوع.

طَعَامِ السُّوقِ أَقْرَبُ لِلنَّجَاسَةِ وَالْحَيَاةِ، وَأَبْعَدُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَأَقْرَبُ إِلَى الْفِتَنِ، وَلَئِنْ أَبْصَرَ الْفُقَرَاءُ نَفْعَ عَلَيْهِ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الشَّرَافَةِ فَيَتَأَذُّونَ بِذَلِكَ فَتُغَيَّبَ بَرَكَتُهُ

حُكِيَ أَنَّ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْجَلِيلَ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ فِي حَالِ تَعَلُّهِ لَا يَأْكُلُ مِنْ طَعَامِ السُّوقِ، وَكَانَ أَبُوهُ يَسْكُنُ فِي الرُّسْتَقِ وَبَنِي لَهُ طَعَامُهُ وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَرَأَى فِي بَيْتِ ابْنِهِ خَبْرَ السُّوقِ يَوْمًا فَلَمْ يُكَلِّمْهُ سَاحِطًا عَلَيْهِ، فَاعْتَذَرَ ابْنُهُ وَقَالَ: مَا اشْتَرَيْتُهُ وَلَمْ أَرْضَ بِهِ، وَلَكِنْ أَحْضَرْتُهُ لِيَكُنِي. فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: لَوْ كُنْتَ تَحْتَاطُ وَتَتَوَرَّعُ عَنْ مِثْلِهِ لَمْ يَحْتَرِزْ شَرِيكَكَ عَلَى ذَلِكَ، وَهَمَكْنَا كَانُوا يَتَوَرَّعُونَ، فَلِذَلِكَ وَقَفُوا لِلْعِلْمِ وَالنَّفَرِ حَتَّى جِيءَ أَسْمُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَوَعَى فِيهِ مِنْ زُهَادِ الْفُقَهَاءِ طَالِبِ عِلْمٍ فَقَالَ لَهُ: عَلَيْكَ أَنْ تَحْتَرِزَ عَنِ النِّبْيَةِ وَعَنِ مَجَالَةِ الْمُتَكَبِّرِ (١)، وَقَالَ: إِنْ مِنْ يَكْثُرُ الْكَلَامُ يَسْرِقُ عَمْرُكَ، وَيَضِيعُ أَوْقَانُكَ، وَمِنَ الْوَرَعِ أَنْ

(١) المتكبر: كبرياء الكلام.

يَحْتَلِبُ أَهْلَ الْفَسَادِ وَالْمَعَاصِي وَالْتَضَلِيلِ وَيُجَاوِرُ الصَّلَاةَ فَإِنَّ الْمَجَاوِرَةَ مُؤَثَّرَةٌ
لِأَعَالَةٍ ، وَأَنْ يَجْلِسَ مُسْتَقْبِلًا الْقِبْلَةَ وَيَكُونُ مُسْتَأً (١) بِسَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَيَنْتَهِي دُعَاؤُهُ أَهْلَ الْخَيْرِ وَيَحْتَرِزُ عَنْ دُعَاةِ الْفَظْلَرَمِينَ

حُكِيَ أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِلْغُرَبَاءِ ، وَكَانَا شَرِيكَيْنِ فِي الْعِلْمِ
فَرَجَا بَعْدَ سِنَيْنَ إِلَى بِلَدِهِمَا وَقَدْ قَهَّ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يَفْقَهُ الْآخَرُ ، فَامْلَأَ قَهَّاهُ
الْبَلَدَةَ وَسَأَلُوا عَنْ حَالِهِمَا وَتَكَرَّرَ مَا وَجَلَّوْهُمَا فَخَبِرُوا أَنَّ جُلُوسَ الَّذِي
تَفَقَّهَ فِي حَالِ التَّكْرَارِ ، كَانَ مُسْتَقْبِلًا الْقِبْلَةَ وَالْمُصْرَ (٢) الَّذِي حَصَلَ الْعِلْمُ فِيهِ
وَالْآخَرُ كَانَ مُسْتَدِيرًا الْقِبْلَةَ وَوَجَّهَهُ إِلَى غَيْرِ الْمُصْرِ ؛ فَاتَّفَقَ الْمَلِكُ وَالْمُفَقِّهَانِ
أَنَّ اتَّفَقِيَهُ فَقَهَّ بِرُكْعَةٍ اسْتَقْبَالَ الْقِبْلَةَ إِذْ هُوَ السُّنَّةُ فِي الْجُلُوسِ ، لِإِعْنَادِ الضَّرُورَةِ
وَبِرُكْعَةِ دُعَاةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ الْمُصْرَ لَا يَحْتَظُّ عَنِ الْمُبَادِ وَأَهْلُ الْخَيْرِ ، فَالظَّاهِرُ
أَنَّ عَابِدَ مَنْ الْمُبَادِ دَعَاؤُهُ فِي الْبَلَدِ ، فَيَنْبَغِي لَطَالِبُ الْعِلْمِ أَلَّا يَتَهَوَّنَ بِالْآدَابِ
وَالسَّيِّئِ فَإِنَّ مَنْ يَتَهَوَّنَ بِالْآدَابِ يَحْرَمُ الْبَيْتَ وَمَنْ يَتَهَوَّنَ بِالسَّيِّئِ حُرِمَ

(١) مستأ : منبعا سنة النبي (٢) مصر : المدينة

الْفَرَائِضَ وَمَنْ يَتَهَوَّنَ بِالْفَرَائِضِ حُرِمَ الْآخِرَةَ
وَيَنْبَغِي أَنْ يَكْثُرَ الصَّلَاةُ وَيُصَلِّيَ صَلَاةَ الْحَائِثِينَ فَإِنَّ ذَلِكَ عَوْنٌ لَهُ عَلَى
التَّحْصِيلِ وَالتَّعَلُّمِ

أُنْشِدْتُ لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ الزَّاهِدِ الْحَجَّاجِ نَجْمِ الدِّينِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّسَافِيِّ :
كُنْ لِلْأَوَامِرِ وَالنَّوَامِي حَافِظًا وَعَلَى الصَّلَاةِ مُوَافِقًا وَمَحَافِظًا
وَاطْلُبْ عُلُومَ الشَّرْعِ وَاجْهَدْ وَاسْتَعِنْ بِالطَّيِّبَاتِ قَصْرَ قَهَّاهَا حَافِظًا
وَأَسْأَلُ الْمَلِكَ حِفْظَ حِفْظِكَ رَاغِبًا فِي فَضْلِهِ قَالَهُ خَيْرٌ حَافِظًا
وَقَالَ ابْنُ رَحْمَةِ أَهْلِهِ :

أَطِيعُوا وَاجِدُوا وَلَا تَكْشَلُوا وَأَنْتُمْ إِلَى رَبِّكُمْ تَرْجِعُونَ
وَلَا تَهْجَعُوا بَخْيَارَ الْوَرَى قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١)
وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَصَحِّبَ دَفْتَرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ لِيُطَالِمَهُ ، وَقِيلَ مَنْ لَمْ يَكُنْ

(١) لا تهجعوا : لا تاتموا ، وبخيار : جمع غير بتشديد الياء المكسورة والورى : الحق ، وفي الشعر اقتباس من القرآن .

لَهُ دَفْتَرٌ فِي كُهُ (١) لَمْ تَبَيَّنِ الْحِكْمَةُ فِي قَلْبِهِ . وَيَبْنِي أَنْ يَكُونَ فِي الدَّفْتَرِ
يَاضٌ لِيَكْتُبَ فِيهِ مَا سَمِعَهُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ ، وَيَتَصَحَّبُ أَخْبَرَةً لِيَكْتُبَ
مَا يَسْمَعُ وَقَدْ ذَكَرْنَا حَدِيثَ هَلَالِ بْنِ يَسَارٍ

(فصل فيما يورث الحفظ)

وَأَقْوَى سَبَابِ الْحِفْظِ الْجِدُّ وَالْمَوَازَنَةُ وَثَقَلُ الْفَهْلِ وَصَلَاةُ اللَّيْلِ
وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ مِنْ أَسْبَابِ الْحِفْظِ ، قِيلَ : لَيْسَ شَيْءٌ أَزِيدَ لِلْحِفْظِ مِنْ
قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ نَفَرًا (٢) . وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ نَفَرًا أَفْضَلُ . وَرَأَى شَدَادُ بْنُ
حَكِيمٍ بَعْضَ إِخْوَانِهِ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ وَجَدْتَهُ أَنْفَعَ ؟ قَالَ
قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ نَفَرًا ، وَيَقُولُ عِنْدَ رَفْعِ الْكِتَابِ : بِسْمِ اللَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ
وَأَتَّخِذُهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ الْعَزِيزِ عَدَدَ كُلِّ حَرْفٍ كُتِبَ وَيَكْتُبُ أَبَدَ الْأَيَّدِينَ وَدَمَرُ الدَّاهِيَرِينَ

(١) الكم : مدخل اليد وغزبها من الثوب والمراد الجيب

(٢) نَفَرًا أى تلاوة في المصحف .

وَيَقُولُ بَعْدَ كُلِّ مَكْتُوبَةٍ (١) آمَنْتُ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْحَقِّ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ . وَكَثُرَتْ بِمِثْلِهِ . وَيَكْثُرُ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ ، قِيلَ :

شَكُوتُ اللَّيْلِ وَكَيْفُ سُوءِ حِفْظِي فَارْتَدَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
فَإِنَّ الْحِفْظَ فَضْلٌ مِنَ الْمَلِكِ وَخُضْلُ اللَّهِ لَا يَهْدِي لِمَعَاصِي
وَالسَّوَاءُ وَشَرُّبُ الْمَلِّ وَأَكْلُ الْكُنْدَرِ (٢) مَعَ الشَّكْرِ ، وَأَكْلُ إِحْدَى
وَعِشْرِينَ زَيْتَةً حَرًّا كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الرِّيقِ يُوْرِثُ الْحِفْظَ وَيُشْفِي مِنْ كَثِيرٍ
مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ . وَأَكْلُ مَا يُقَالُ الْبَلْغَمُ وَالرُّطُوبَاتُ يَزِيدُ فِي الْحِفْظِ
وَأَمَّا مَا يُوْرِثُ النَّبَانَ فَلِلْمَعَاصِي وَكَثْرَةِ الذُّنُوبِ وَالْمُحُومِ وَالْأَحْزَانِ فِي
أُمُورِ الدُّنْيَا وَكَثْرَةِ الْأَشْغَالِ وَالْمَلَاتِقِ ، وَكُلُّ مَا يَزِيدُ فِي الْبَلْغَمِ يُوْرِثُ
النَّبَانَ وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَهْتَمَّ لِأَمْرِ الدُّنْيَا لِأَنَّهُ يَضُرُّ

(١) مكتوبة : أى صلاة مفروضة

(٢) الكندر بضم الكاف والهاء : نوع من الملك (البان الذكر) .

ولا يتغنى وهموم الدنيا لا تغلو عن الثقل في القلب، وهموم الآخرة لا تغلو
عن الثور في القلب، ويظهر أثره في الصلاة، وهم الدنيا يمنه عن الخير
وهم الآخرة يحمله عليه، والاشتغال بالصلاة على الخشوع، وغصيل العلم
ينفي ألم والحزن كما قال الشيخ الإمام نصر بن الحسن المرغيناني في قصيدة له:

أَعْسَنَ نَصْرَ بْنَ حَسَنٍ بِكُلِّ عِلْمٍ يُتَوَرَّنُ
ذَاكَ الَّذِي يَنْفِي الْحُزْنَ وَغَيْرَهُ لَا يُؤْمَنُ

وقال الشيخ الإمام الأجل نجم الدين عمر بن محمد النسفي في أم ولد له
سلام على من يمتني بطرفها ولمة خديها ولحمة طرفها (١)
سبني وأصبني فتاة مليحة تحببت الأرواح في كنه وصفها (٢)

(١) يمتني: شفتني حباً. لمة الخدين: برؤسهما وفنارتها، لحة طرفها: يقال
لمح إليه بفتح الميم أي اغتلس النظر إليه، والطرف: العين والمقصود هنا حسن
النظر ورشاقة الالتفات

(٢) سبني: أسرتي. أصبني: شاختي وأماجتني نشوة العيا. الأرواح هنا
بمعنى العقول. كنه وصفها: حقيقة وصفها، وإنما تحببت الأرواح في حقيقة
وصفها لأنها انبهرت بمجالها كما خبر العين بعنود الشمس فلا تستطيع النظر إليها

قُلْتُ ذَرِينِي وَأَعِزُّنِي فَأَتِي شُفِيتُ بِحَصِيلِ الْعُلَمَاءِ وَكَشِفَتْهَا (١)
وَلِي فِي طَلَابِ الْعِلْمِ وَالْقَضَلِ وَالْتَقَى غَنَى عَنْ غَنَاءِ الْفَانِيَاتِ وَعَرَفَهَا (٢)
أَمَا سَبَابُ نِسْيَانِ الْعِلْمِ فَأَكُلُ الْكَزْبَةَ الرَّطْبَةَ وَأَكُلُ التَّفَاحَ الْحَامِضَ
وَالنَّظَرَ إِلَى الْمَصْلُوبِ، وَقِرَاءَةَ لَوْحِ الْقُبُورِ، وَالْمُرُورَ بَيْنَ قَطَارِ الْجِبَالِ وَالْقَاءِ
الْفَعْلِ الْحَتَّى عَلَى الْأَرْضِ، وَالْحِجَامَةَ عَلَى نَفَرَةِ الْقَفَا، كُلُّهَا تُوْرِثُ النَّسْيَانَ
(فصل فيما يجلب الرزق وما يمنه وما يزيد في العمر وما ينقص)
فَم لَا بُدَّ لَطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْقَوْتِ وَمَعْرِقَةِ مَا يَزِيدُ فِيهِ وَمَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ
وَالصَّحَّةِ لِيَتَفَرَّغَ طَالِبُ الْعِلْمِ لِلْعَمَلِ إِلَى غَرَضِهِ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ صَنَعُوا كِتَابًا
قَاوَرَدَتْ هُنَا بَعْضُهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِصَارِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: لَا يَزِدُّ الْقَدْرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ، فَإِنَّ الرَّجُلَ
لَيَحْرُمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ.

- (١) ذَرِينِي: اتركني. أعزُّنِي: اعزوني. أسس لي بالنخل عن الاشتغال بمك
(٢) طَلَاب: طلب. غَنَاء: بكر العين: الطعين والفتى. الفانيات: الجليات،
والعرف: بفتح العين الرائحة الطيبة.

قَبَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ ارْتِكَابَ الذَّنْبِ سَبَبُ حَرَمَانِ الرِّزْقِ، خُصُوصًا
الْكُذْبَ فَإِنَّهُ يُورِثُ الْفَقْرَ وَقَدْ وَدِدَ فِيهِ حَدِيثٌ خَاصٌّ، وَكَذَا نَوْمُ الصُّبْحَةِ
يَمْنَعُ الرِّزْقَ، وَكَثْرَةُ النَّوْمِ تُورِثُ الْفَقْرَ وَقَدْ عَلِمَ أَيْضًا قَالَ الْقَائِلُ:
سُرُورُ النَّاسِ فِي لُبْسِ اللَّبَاسِ وَجَمْعُ الْعِلْمِ فِي تَرْكِ الثَّمَالِ
وقال بعضهم:

الْبَيْسُ مِنَ الْخُسْرَانِ إِنَّ لَيَالِيَا تَمُرُّ بِلاَ نَفْعٍ وَتَحْسِبُ مِنْ عَمْرِيَا
وقال آخر:

فَمُ الْبَلِّ بِأَهَذَا الْمَلِكِ تَرْشُدُ إِلَى كَمْ تَنَامُ الْقِيلَ وَالْعَمْرُ يَنْفَدُ
وَالنَّوْمُ عَرْمَانًا، وَالْيَوْمُ عَرْمَانًا، وَالْأَكْلُ جُبْنًا، وَالْأَكْلُ مُتَكَبَّرًا عَلَى
جَنْبٍ، وَالتَّهَانُ بِقَاطَةِ^(١) الْمَائِدَةِ، وَحَرْقُ قَشْرِ الْبَصْلِ وَالثَّوْمِ، وَكَفْسُ
الْبَيْتِ بِالْمُنْدِيلِ، وَكَفْسُ الْبَيْتِ فِي الْقِيلِ، وَتَرْكُ الْقِيَامَةِ^(٢) فِي الْبَيْتِ:

(١) مقاطة الشيء: ما يقطع منه عادة. المائدة: الخوان، فقاطط المائدة
هو فئات الخبز ونحوه. (٢) التهمة: الكثرة.

وَالْمُنَى قَدَامَ الْمَشَايِخِ وَدَعَاءُ الْأَيَّامِ بِأَسْمَاهَا، وَالْحَلَالُ بِكُلِّ خَشْيَةٍ^(١)،
وَعَمَلُ الْبَدِينِ بِالطَّيْنِ وَالْتِرَابِ، وَالْجُلُوسُ عَلَى الثَّيْبَةِ وَالْإِنْكَاءُ عَلَى أَحَدٍ
مِصْرَاعِي الْبَابِ، وَالتَّوَضُّؤُ فِي الْمَجْرَى^(٢)، وَخِيَاطَةُ الثَّوبِ عَلَى بَدَنِهِ،
وَيَجْفِيفُ الْوَجْهَ بِالثَّوْبِ، وَتَرْكُ بَيْتِ التَّسْكُوتِ فِي الْبَيْتِ وَالتَّهَانُ بِالصَّلَاةِ
وَالسَّرَاعُ الْخُرُوجُ مِنَ الْمَسْجِدِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَالْإِبْكَارُ بِالذَّهَابِ إِلَى
السُّوقِ. وَالْإِبْطَاءُ فِي الرَّجُوعِ مِنْهُ، وَشَرَاءُ كَثِيرَاتِ الْحَبِّ مِنَ الْفَقَرَاءِ
السُّوَالُ وَدُعَاءُ الشَّرِّ عَلَى الْوَلَدِ، وَتَرْكُ تَحْمِيرِ^(٣) الْأَوَانِي، وَالطَّفَاءُ السَّرَاجِ
بِالنَّفْسِ، كُلُّ ذَلِكَ يُورِثُ الْفَقْرَ، عُرِفَ ذَلِكَ بِالْأَثَارِ، وَكَذَا الْكِتَابَةُ
بِالْقَلَمِ الْمَعْقُودِ^(٤)، وَالْإِنْشَاطُ بِمِشْطٍ مُنْكَبِرٍ، وَتَرْكُ الدُّعَاءِ بِالْحَبْرِ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْعَتَمُ قَاعِدًا، وَالتَّسْرُؤُ^(٥) قَائِمًا، وَالْقَبْلُ وَالْقَفِيرُ وَالْإِسْرَافُ

(١) الحلال: أي يخال أسنانه بأي شيء يحمده، والواجب أن يخال يهود
الحلال لأنه ربيع وليس منه ضرر. (٢) المجز: مكان التبرز، المرحاض
(٣) تحمير الأواني: تظيفها. (٤) القلم المعقود: هو القلم الذي كسر ثم
ربط بشيء فيمكن استعماله. (٥) التسرؤ: ليس السروال.

وَأَكْسَلُ وَالنَّوَانِي، رَأَيْتَاهُمَا فِي الْأُمُورِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَزِيلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ،
وَالْبُكُورَ مُبَارَكُ يَزِيدُ فِي جَمِيعِ التَّعَمُّ خُصُوصًا فِي الرِّزْقِ، وَحَسَنَ الْحَقِّ
مِنْ مَقَاتِلِ الرِّزْقِ، وَبَسَطَ الرَّجُلُ، وَطِيبَ الْكَلَامُ يَزِيدُ فِي الْحِفْظِ وَالرِّزْقِ.
وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَفَسَ الْفَنَاءُ، وَغَسَلَ الْإِنَاءُ،
تَجَلَّبَأَ الْعَمَى، وَأَقْوَى الْأَسْبَابُ الْجَالِيَةُ الرِّزْقُ: إِقَامَةُ الصَّلَاةِ بِالْتَعْظِيمِ
وَالْمُخْشَعِ وَتَعْدِيلُ الْأَرْكَانِ وَسِتْرُ وَاجِبَاتِهَا وَسُنَنُهَا وَآدَابُهَا، وَصَلَاةُ
الضُّحَى فِي ذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ، وَقِرَاءَةُ سُورَةِ الرَّاقِعَةِ خُصُوصًا بِاللَّيْلِ
وَقَتِ النَّوْمِ، وَقِرَاءَةُ سُورَةِ الْمُلِكِ وَالْمُزْمَلِ وَالْبَلَلِ إِذَا بَقِيَ، وَالْمُتَرَحِّحِ
لَكَ، وَحُضُورُ الْمَسْجِدِ قَبْلَ الْأَذَانِ، وَالْمُدَاوِمَةُ عَلَى الطَّهَارَةِ، وَأَدَاءُ سُنَّةِ
الْفَجْرِ وَالْوُتْرِ فِي الْبَيْتِ، وَالْأَلَّا يَتَكَلَّمَ بِكَلَامِ الدُّنْيَا بَعْدَ الْوُتْرِ، وَلَا يَكْثُرُ
جُلُوسُ النِّسَاءِ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ وَالْأَلَّا يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَمْ يُوَفِّهِ مُفِيدٌ لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ

قِيلَ: مَنْ أَشْتَلَّ بِمَا لَا يَنْبَغِي يَفُوتُهُ مَا يَنْبَغِي ^(١) قَالَ بَرَزِي جَهْر: إِذَا رَأَيْتَ
الرَّجُلَ يَكْثُرُ الْكَلَامَ فَاسْقِيقِنْ بَحْنُونَهُ. وَقَالَ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: إِذَا
تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ. وَقَالَ الْمُصَنِّفُ: انْفَقَلِي هَذَا الْمَعْنَى:

إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمَرْءِ قَلَّ كَلَامُهُ وَأَيْضًا يَحْسَبُ الْمَرْءُ إِنْ كَانَ مُكْثِرًا
وَقَالَ آخَرُ:

الْتَقَى زَيْنٌ وَالسُّكُوتُ سَلَامَةً فَإِنَّا نَقَطَقَتْ فَلَا تَكُنْ مَكْثَرًا
مَا لِنْ نَعِمْتُ عَلَى سُكُوتِي مَرَّةً وَلَقَدْ نَعِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مَرَارًا ^(٢)

وَمَا يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ أَنْ يَقُولَ كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ انْتِفَاقِ الْفَجْرِ إِلَى وَقْتِ
الصَّلَاةِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ
إِلَيْهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، وَأَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، كُلَّ يَوْمٍ
صَبَاحًا وَمَسَاءً مِائَةَ مَرَّةٍ، وَأَنْ يَقُولَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ كُلَّ يَوْمٍ: الْحَمْدُ لِلَّهِ
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً، وَبَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ
أَيْضًا، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَرْبَعِينَ مَرَّةً بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَيَكْثُرُ مِنْ قَوْلِ:

(١) بعينه: يجهه (٢) ما لِنْ نَعِمْتُ: أَي مَانَدْتُ فَإِنْ رَأَيْتَهُ .

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ وَيَقُولُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً: اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِحَمْلِكَ عَنْ حَرَامِكَ،
وَكَفِّنِي بِفَضْلِكَ عَنْ سَوَاكَ، وَيَقُولُ هَذَا التَّائِبُ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ: أَنْتَ اللَّهُ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، أَنْتَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ، أَنْتَ اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، أَنْتَ
اللَّهُ عَالِيُ الْغَيْبِ وَالنَّارِ، أَنْتَ اللَّهُ عَالِيُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
عَالِمُ السَّرِّ وَالْغَيْبِ، أَنْتَ اللَّهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ، أَنْتَ اللَّهُ عَالِيُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ
يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ، أَنْتَ اللَّهُ دَيَّانٌ ^(١) يَوْمَ الدِّينِ لَمْ تَزَلْ وَلَا تَزَالُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ،
أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَلِكُ
الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُتَعَبِّدُ الْغَبَرُ الْمُتَكَبِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
الْحَاقُّ الْبَارِي الْمُسَوِّرُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى، يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

وَمَا يَزِيدُ فِي الْعَمْرِ: الْبَرُّ وَتَرَكَ الْأَدَى، وَتَوْقِيرُ ^(٢) الشُّبُوحِ، وَصَلَّةُ

(١) الديان: القهار (٢) توقير الشيوخ: تعظيمهم .

الرَّحِمِ ^(١) وَأَنْ يَقُولَ حِينَ يُصْبِحُ وَيَمْسِي كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: سُبْحَانَ
اللَّهِ مِلَّةَ الْمِيزَانِ وَمُنْتَهَى الْعِلْمِ وَمَبْلَغِ الرِّضَا، وَزِيَّةَ الْعَرْشِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ أَكْبَرَ مِلَّةِ الْمِيزَانِ، وَمُنْتَهَى الْعِلْمِ وَمَبْلَغِ الرِّضَا، وَزِيَّةَ الْعَرْشِ
وَأَنْ يَحْتَزَّ عَنْ قَطْعِ الْأَشْجَارِ الرِّطْبَةِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ
وَالصَّلَاةِ بِالتَّعْظِيمِ، وَالْقِرَانِ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَحِفْظِ الصَّحَةِ، وَلَا يَدَّ
مَنْ لَنْ يَتَعَلَّمَ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ وَيَتَبَرَّكَ بِالْأَنْبَاءِ الْوَارِدَةِ فِي الطَّبِّ الَّتِي جَمَعَهَا
الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُسْتَفَرِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِطَبِّ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَجِدُهُ مَنْ يَطْلُبُهُ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى النَّعَامِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدَتِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ الرُّسُلِ الْكَرَامِ
وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَيِّمَةِ الْأَعْلَامِ، عَلَى عَمْرِ الدَّهْرِ وَتَقَابِ الْأَيَّامِ آمِينَ .

(١) حلة الرَّم: براجل والأقارب. جاء في الجامع الصغير أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن الله كتب في أم الكتاب قبل أن يخلق السموات والأرضين: إني أنا الرحمن الرحيم، خلقت الرحم وشفقت لها اسمًا من إسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته .